
المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي | الإصدار السادس عشر | تأريخ الإصدار: ٥-٨-٢٠٢٠م
ISSN: 2706-6495

بحث في السنة وعلومها (القرآنيــون في دائرة الضوء وأدلة حجية السنة)

Research in the Sunnah and its Sciences (Quranists in the Spotlight, Authentic Evidence for the Sunnah)

اعداد الدكتور/ السيد احمد جمعه حسن سلاَّم

دكتوراه في التفسير وعلوم القرءان، المركز الإسلامي، لوس انجلوس / رسيدا – الولايات المتحدة الأمريكية.

Email: ask.sallam@gmail.com

الملخص:

السنة كما عرفها الفقهاء كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن مفروضًا ولا واجبًا مثل تثليث الوضوء، ومثل المضمضة، والاستنشاق عند بعضهم، ومثل تقديم اليمنى على اليسرى، ومثل الركعتين قبل فرض الصبح ونحو ذلك، والسنه لها مكانته وأهميته عظيمة في الإسلام إذ هي ثانية مصادر التشريع الإسلامي، وهي أوسعها فروعا وأكثرها تبيينا لشريعة الإسلام وخصائصه المميزة ففيها العناية بشرح كتاب الله وما جاء فيه من القواعد العامة في التشريع والأحكام والأخلاق والأداب.

ومع كثرة الطوائف والتيارات الإسلامية ظهر تيار القرآنيون أو من يسمون أنفسهم اهل القران ويعتقدون أن رسالة الله في القرآن واضحة وكاملة كما هي، وبالتالي يمكن فهمها تمامًا دون الرجوع إلى الحديث، ويسمون أنفسهم اهل القرآن.

وسوف نتحدث في هذا البحث عمن هم القرآنيون ونشاتهم وتطورهم ومنكري السنة وشبهاتهم والرد عليها. وأبرز شخصياتهم، ومؤلفاتهم.

الكلمات المفتاحية: السنة، القرآنيون، ادلة، حجية.

ISSN: 2706-6495

Research in the Sunnah and its Sciences (Quranists in the Spotlight, Authentic Evidence for the Sunnah)

By: Dr. El Sayed Ahmad Jumaa Hassan Salam

Doctorate in Quran and its Sciences, American International University, United States of America

Email: ask.sallam@gmail.com

Abstract:

The Sunnah, as the jurists knew it, was all that was proven on the authority of the Prophet Mohammed, peace and blessings be upon him, and was not imposed or obligatory, such as the ablution of the ablution, the same as the rinsing of mouth, and the inhalation of some of them, the same as giving the right on the left, and the same as the two rak'ahs before imposing the morning and so on, and the Sunnah has its status and great importance in Islam. As it is the second source of Islamic legislation, and it is the widest branch and most indicative of the law of Islam and its distinctive characteristics. In it, attention is given to explaining the Book of God and the general rules it contains in legislation, rulings, ethics and ethics.

With the abundance of Islamic sects and currents, the stream of Quranists or those who call themselves the people of the Qur'an appeared and believed that the message of God in the Qur'an is clear and complete as it is, and therefore it can be fully understood without referring to the hadith, and they call themselves the people of the Qur'an.

In this research, we will talk about who the Qur'ans are their genesis, their development, the Sunni deniers and their similarities, and their response to them. The most prominent of their personalities, and their literature.

Keywords: The Sunnah, Quranists, Evidence, Authentic.

ISSN: 2706-6495

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الخلق أجمعين ، الذي قال فيه رب العزة " إنا أرسلناك بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إليه وسراجا منيرا " أما بعد ،

ونحن الآن نعيش في عصر يتعرض فيه الإسلام إلى الكثير من الهجمات الشرسة ، ليس من الإسلام فحسب ، بل من المسلمين أنفسهم من أصحاب المذاهب المتطرفة والأفكار الفاسدة التي تخالف ما إجتمعت عليه الأمة بعلمائها ومذاهبها ومصادرها القديمة والحديثة التي هي المنبع والمنهل لكل مسلم ذو عقل معتدل مستنير ، ومن ذلك ما يعرف الآن بجماعة

" **القرأنيين** " منكري السنة وهي جماعة ضالة تحاول النيل من سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل ولذا فقد أخذت على عاتقي إنشاء هذا البحث **"القرآنيون تحت دائرة الضوء وأدلة حجية السنة النبوية الشريفة"**

لعلي فيه أقيم الحجة على تلك من خلال إستعراض شبهاتهم والرد عليها مستندا في ذلك إلى الكثير من أقوال علماء الأمة الذين تصدوا بكل شراسه وحزم لتلك الفئة الضالة من أصحاب العقول الضاحلة، اما عن خطتي في هذا البحث فإنها تتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى أنه يركز على ذكر دور السنة النبوية ومكانتها واهميتها كتشريع ثاني في الإسلام وبيان شبهات منكري السنة والرد على شبهاتهم ودحضها. وتعريف المجتمع الإسلامي بالطوائف والتيارات الإسلامية من منكري السنة والقرآنيون.وشبهاتهم والرد عليها.

أهدف البحث.

يهدف البحث الى عدة أمور أبرزها.

- تعريف السنة النبوية وأهيمتها ومكانتها في الإسلام
- ذكر منكري السنة والتيارات الإسلامية التابعه لهم ومصادر التلقي لهم.
- دحض شبهات القرآنيون ومنكري السنة والرد عليها
- بيان أدلة حجية السنة.

ISSN: 2706-6495

المحتوى البحثي.

الفصل الأول: السنة ومنزلتها في التشريع.

المبحث الأول: مفهوم السنة وتعريفها.

المبحث الثاني: مكانة السنة في التشريع.

المبحث الثالث: أحوال السنة مع القرآن.

الفصل الثاني: منكري السنة تحت دائرة الضوء.

المبحث الآول: تعريف " القرآنيين" منكري السنة.

المبحث الثاني: نشأتهم وتطورهم.

المبحث الثالث: مصادر التلقي.

الفصل الثالث: شبهات القرآنيون وأدلة السنة.

المبحث الأول: شبهاتهم والرد عليها.

المبحث الثاني: المنهج القرآني في دائرة فهمهم.

المبحث الثالث: أدلة حجية السنة. ومن ثم الخاتمة.

وكلي أمل من الله عزوجل أن يكون هذا البحث نقطة، في هذا البحر المليئ لتلك الزخائر التي تصدت في الدفاع عن السنة وعن نبينا الكريم الذي قال فيه المولى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " وأن ينفع غيري من طلاب العلم.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل العقدة من لساني "

اللهم صل وسلم وبارك علي خير البرية وسيد المرسلين عليه أفضل صلاة وأجل تسليم.

الفصل الأول

السنة ومنزلتها في التشريع

قبل الخوض في معمعة الحديث عن القرآنيين منكري السنة النبوية الشريفة، لابد هنا أن أستعرض مكانة السنة وأهميتها في هذا العصر إذ هي ثانية مصادر التشريع الأسلامي، وهي أوسعها فروعا وأكثرها تبيينا لشريعة الإسلام وخصائصه المميزة ففيها العناية بشرح كتاب الله وما جاء فيه من القواعد العامة في التشريع والأحكام والأخلاق والأدب.

وما ذلك إلا لنقف على أرض ثابتة حين نتحدث عن هذه الشرذمة من منكري السنة النبوية الشريفة، وعلى هذا فلابد أن نوضح مفهوم السنة ومكانتها من التشريع ثم أحولها في القرآن وكيف أنها جاءت مبينة له، مع إستقلالها ببعض الأحكام من القرآن.

المبحث الأول:

مفهوم السنة:

السنة اصطلاحًا

يختلف تعريف السنة في الاصطلاح تبعا لإختلاف أغراض العلماء من بحوثهم حسب تخصصاتهم المختلفة ، وفيما يلي تعريفها عند المحدثين والأصوليين والفقهاء .

السنة في اصطلاح المحدثين :

للمحدثين تعريفات متعددة للسنة، من هذه التعريفات :

١-هي أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وتقريراته، والخلقية، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها هذا هو المشهور عند جمهور المحدثين، وكأن السنة عندهم خاصة بالحديث المرفوع فقط، أما الموقوف والمقطوع فلا. ولعل سند هؤلاء فيما ذهبوا إليه هو: تسمية النبي صلى الله عليه وسلم جاء به في مقابلة القرآن بالسنة مثل قوله في خطبته في حجة الوداع "

يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا : كتاب الله وسنتي "[1]

٢- وقيل : هي ،اي السنة ، أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ،تقريراته وصفاته الخلقية والخُلقية ، وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها ، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم ، وممن ذهب إلى ها القول الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه فقد ورد عنه أنه قال : **" ما جاءنا عن الصحابة أتبعناهم وما جاءنا عن التابعين زاحمناهم "**[2]

وقال: **" إذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم"**[3]

1_ رواه بن ماجه في السنن.
2_ أخرجه مالك في الموطأ.
3_ رواه الحاكم في المستدرك.

ISSN: 2706-6495

وكأن السنة عند أبي حنيفة مخصوصة بالمرفوع والموقوف فقط ،أما ما عداهما من المقطوع فلا ، ولعل سنده فيما ذهب إليه قوله صلى الله عليه وسلم:**" فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ "**[4]

٣-وقيل: هي أي السنة-أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلقية والخُلقية وسائر أخباره سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم.

وممن ذهب إلى هذا القول الحافظ أبوبكر المعروف بالبيهقي ، الذي جمع فيه ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة والتابعين وأفعالهم - بالسنن الكبرى، وكأن السنة عنده تشمل: المرفوع، والموقوف، والمقطوع.

ولعله استند فيما ذهب إليه إلى: أن الصحابة خالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاهدوا الوحي والتنزيل، وكذلك خالط التابعون الصحابة وجالسوهم، وسمعوا منهم، فكان قولهم وفعلهم أولى بالقبول من غيرهم، وأصبح داخلاً في مفهوم السنة.

السنة في اصطلاح الأصوليين:

عرف الأصوليون السنة بأنها: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن، وأفعاله وتقريراته التي يمكن أن تكون دليلاً لحكم شرعي .

كأن ما صدر عنه من الأقوال والأفعال والتقريرات التي تعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم ليست داخلة في تعريف السنة عند الأصوليين، وكذلك صفاته صلى الله عليه وسلم؛ لأنها لا تفيد حكمًا شرعيًا يتعبد الناس به.

لذلك ترى الأصوليين غالبًا ما يغفلون الكلام عن الأمور التي هي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ومن تكلم منهم عنها فمن باب بيان أنها ليست ملزمة للناس.

السنة في اصطلاح الفقهاء:

١- هي كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن مفروضًا ولا واجبًا مثل تثليث الوضوء، ومثل المضمضة، والاستنشاق عند بعضهم، ومثل تقديم اليمنى على اليسرى، ومثل الركعتين قبل فرض الصبح ونحو ذلك.

٢- وقد يطلقها الفقهاء ويعنون بها، ما يقابل البدعة كقولهم فيمن طلق زوجته في غير حيض وفي غير طهر التقيا فيه - هذا طلاق سني - في مقابلة الطلاق البدعي، وهو الذي يحدث في طهر التقيا فيه، أو يحدث في حيض، حيث يأبى الإسلام بنظامه العام أن يشق على المطلقات بإطالة العدة.[5]

ومرد هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلاف الأغراض التي تعني بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث : إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق، وشمائل وأخبار، وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

وعلماء الأصول : إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه : إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون

4_ أخرجه الترمذي في السنن.
5_ إرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٣.

عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمةً أو إباحةً، أو غير ذلك.

والذي نعنيه بالسنة هنا : هو اصطلاح المحدثين؛ لأننا سنعالج جهودهم في خدمتها، وعطاءهم في حفظها وصيانتها.

شرح التعريف : انتهينا فيما سبق إلى أن السنة عند المحدثين: "هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخَلقية والخُلقية، وسائر أخباره، سواءً كان ذلك قبل البعثة أم بعدها". وإليك شرح هذا التعريف.

يقصد بأقواله صلى الله عليه وسلم :كل ما تلفظ به في مختلف الظروف والمناسبات، ويسميه العلماء أيضًا بالسنة القولية، ويجمع فيقال: سنن الأقوال، ومثاله:

١- **قول النبي - صلى الله عليه وسلم " :-**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" [٦]

٢- **وقوله - صلى الله عليه وسلم**" :-إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلكِ وأقطع من قطعكِ؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لكِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرءوا إن شئتم: " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" [٧]

٣- **وقوله - صلى الله عليه وسلم** " :-ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" [٨]

ويقصد بأفعاله صلى الله عليه وسلم :سلوكه وتطبيقه العملي لوحي الله تعالى المنزل عليه، ومثاله:

١- **ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال** :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: " سمع الله لمن حمده" حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: " ربنا ولك الحمد" ثم يكبر حين يهوى، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس" [٩]

٢- **ما رواه أنس بن مالك قال " :**كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء، وأنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه" [١٠]

٣- **ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما"** :كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يخب ثلاثة أطواف، ويمشي أربعة، وأنه كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة" [١١]

_6 أخرجة البخاري في صحيحه .
_7 أخرجه البخاري .
_8 أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين .
_9 أخرجه البخاري في الصحيح .
_10 أخرجه البخاري في الصحيح .
_11 أخرج البخاري في الصحيح .

المبحث الثاني:

مكانة السنة في التشريع:

من المعلوم أنَّ القرآن والسنَّة هما أصل الدين وركناه الأساسيان، فالله تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين، ونبراسًا لمن أراد لهم الهداية الفلاح، وأرشدهم إلى تدبر آياته والتفكر في معانيه، والإيمان بمحكمه ومتشابهه وما جاء فيه من عقائد وأخبار، والعمل بشرائعه وأحكامه؛ ذلك أنَّه كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الموحى به لفظًا ومعنى.

فالقرآن قد اشتمل على الإيمان بالله ووحدانيته ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، كما اشتمل على التشريع والآداب، والقصص والترغيب والترهيب وغيرها، وهو في كل ذلك مقطوع بصحته إجمالا وتفصيلا، وتلقته الأمة بالقبول اعتقاداً وعملا، واستدل به العلماء في العقيدة والأحكام والآداب والأخلاق، وفي جميع المجالات المعرفية التي تكلَّم عنها القرآن تفصيلا وتصريحًا أو إشارةً وتلميحًا، وتاريخ المسلمين وتراثهم المعرفي شاهد صدق على ذلك.

فالصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستفيدون أحكام الشرع وعقائد الإسلام من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فالرسول يبلغهم ما نزل إليهم من ربهم، ثمَّ يبيّن لهم ما يحتاجون إليه من إيضاح وتبيين، ويفصِّل لهم ما يحتاج إلى بيان وتفصيل، وهي رسالته التي جاء بها ومهمته التي أخبره الله تعالى عنها بقوله: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}** [12] ، والصحابة ومن جاء بعدهم من المسلمين الصادقين يقبلون ذلك منه؛ لأنَّهم مأمورون باتباعه وطاعته والأخذ عنه، وهم يعلمون أنَّ طاعته هي طاعة لله، وأنَّ أوامره من عند الله تعالى، وقد عرفوا كلَّ ذلك من كتاب الله تعالى الذي يقرؤون فيه قوله تعالى: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ}**[13] **وقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ}**[14] **وقوله: {مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً}**[15]

فطاعتهم للرسول هي طاعة لله الذي وضعه بهذا الموضع، فأعلى من مكانته، وأوجب اتباعه وحرَّم معصيته، وفي هذا المعنى يقول الشافعي: "وضع الله رسولَه من دينه وفرضه وكتابه الموضعَ الذي أبانَ جلَّ ثناؤه أنَّه جعله علمًا لدينه بما افترض من طاعته وحرَّم من معصيته، وأبان فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به، فقال تبارك وتعالى: **{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}**[16]

12_ النحل ٤٤.
13_ المائده ٩٢.
14_ الحشر ٧ .
15_ النساء ٨٠.
16_ النساء ١٧١.

وقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[١٧] ففرض الله على النَّاس اتباع وحيه وسنن رسوله".

فالرسول مبلِّغ عن الله تعالى كلامه وهو القرآن، ومبيِّن لمقاصد الشريعة وحدودها ومراميها ونهجها، وذلك بالسنَّة التي سنَّها؛ فهو أدرى النَّاس بكلام الله ومقاصده وأحكامه وتشريعاته، وما فيه من عقائد وأحكام وقواعد ونظم، فسنَّته شارحة ومبيِّنة ومفصِّلة، فالوحي ينزل والرسول يبلِّغ، والقرآن يحكي والرسول يشرح ويوضح، والعقائد تنزل والرسول يؤكِّد ويفصِّل، والأحكام تتوالى والسنَّة تشرح وتخصِّص، فالسنَّة بهذا:

"جاءت موافقة للقرآن الكريم، تفسِّر مبهمه وتفصِّل مجمله، وتقيِّد مطلقه وتخصِّص عامَّه، وتشرح أحكامه وأهدافه".

وقد أوضح الشافعي في "الرسالة" مكانة السنَّة وموقعها من الدين، فقال: "وسنَّة رسول الله مبيِّنة عن الله ما أراد، ودليل على خاصِّه وعامِّه، ثمَّ قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إيَّاه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله".

ثمَّ أوضح الشافعي خلاف العلماء حول سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهل تستقل بالأحكام أم لا؟ فأوجز ذلك وأجمله بقوله: "وقد سنَّ رسول الله مع كتاب الله، وسنَّ فيما ليس فيه بعينه نصُّ كتاب"، ثمَّ ذكر مذاهب العلماء وموقفهم من السنَّة فقال: "فلم أعلمْ من أهل العلم مخالفًا في أنَّ سننَ النبيِّ من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرَّعان: أحدهما ما أنزل الله فيه نصَّ كتاب فبيَّن رسول الله مثلَ ما نصَّ الكتاب، والآخر ممَّا أنزل الله فيه جملة كتاب فبيَّن عن الله معنى ما أراد، وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما، والوجه الثالث: ما سنَّ رسول الله فيما ليس فيه نصُّ كتاب، فمنهم من قال: جعل الله بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسنَّ فيما ليس فيه نصُّ كتاب، ومنهم من قال: لم يسنَّ سنَّة قط إلا ولها أصلٌ في الكتاب، ومنهم من قال: بل جاءت به رسالة الله فأثبت سنَّته بفرض الله..".

فهذه الأقوال التي نقلها الشافعي عن السنَّة ومكانتها واختلاف العلماء حول استقلالها بالتشريع أو كونها شارحة ومبيّنة لأصل ثابت في القرآن، تبرز مكانة

السنَّة ومنزلتها من القرآن، فهي قد تأتي بما يوافق القرآن دون زيادة عليه في المعنى، وبذلك تقرِّر ما قرَّره القرآن، وقد تأتي مبيِّنة لما أجمله القرآن فهي شارحة ومفصِّلة، وهذان الأمران لا خلاف فيهما بين العلماء، أمَّا القسم الأخير فهو أن تأتي السنَّة بأمر لم يأتِ به القرآن وهو موضع اختلاف العلماء، إلا أنَّ الاختلاف بينهم ليس في كونه مقبولا وحجَّة بل في جهة الحجية، هل هي من أمر الله لنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه، أم من كون ما يأتي به لا يخرج عن الآيات التي جاء بها القرآن، أم من حفظ الله لنبيِّه وتوفيقه له بحيث لا ينطق إلا حقًّا ولا يقول إلا صدقا؟.

[17]_ النور ٦٢.

ISSN: 2706-6495

فالعلماء كلّهم متفقون على قبول ما جاءت به السنَّة، ولا أدل على ذلك من اهتمامهم بها اهتمامًا استنفد جهودهم في الدفاع عنها، وشغل أوقاتهم في تدوينها وروايتها وحفظها وصيانتها، ومن ثمَّ ابتكارهم لمنهج فريد في الحفظ والتثبت ونقد الرجال، حتى صار الاشتغال بالسنَّة وعلومها من أفضل الأعمال وأعظم القربات التي يتنافس فيها العلماء، قال النووي: "واعلم أنَّ علم الحديث من أفضل العلوم وأولاها بالاعتناء، وأحق ما شمّر فيه المبرّزون ومحققو العلماء"، وقال البدر العيني: "إنَّ السنَّة إحدى الحجج القاطعة، وأوضح المحجَّة الساطعة... فصرف الأعمار في استخراج كنوزها من أهم الأمور".

ويقول ابن رجب الحنبلي: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلِّها ضبطُ نصوص الكتاب والسنَّة وفهم معانيها والتقيد في ذلك".

فالاشتغال بالسنَّة إذا من أفضل الأعمال وأعظم القربات ذلك أنَّها الميزانُ الراجحُ الذي توزن به الأعمال، والنَّبي صلى الله عليه وسلَّم هو القدوة والمثل "على أقواله وأعماله وأخلاقه توزن الأخلاق والأعمال والأقوال، وبمتابعته والاقتداء به يتميَّز أهلُ الهدى من أهل الضلال". والسنَّة مع القرآن عليهما مدار العلوم الشرعية كما أوضح ابن حجر، وعلوم القرآن وعقائد الإسلام بأسرها وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها تتوقف على بيانه صلى الله عليه وسلم،

كما فصَّل ذلك المباركفوري: "فسنَّته أنفُ العلوم الشرعية ومفتاحها، ومشكاة الأدلة السمعية ومصباحها، وعمدة المناهج اليقينية ورأسها، ومبنى شرائع الإسلام وأساسها، ومستند الروايات الفقهية، وقاعدة جميع العقائد، وسماء العبادات ومركز المعاملات..".

وبهذه الجملة الكبيرة من أقوال العلماء نتبيَّن أهمية السنَّة ومكانتها في العقائد والأحكام والأعمال والآداب، ولا نستغرب بعد ذلك اتفاقهم على هذا المعنى واهتمامهم بالردِّ والتشنيع على من ينكر شيئًا من السنَّة أو يقلِّل من أهميتها ويضعف من حجيتها بزعم الاستغناء عنها بالقرآن، وهي الدعوى القديمة المتجدِّدة التي تلقى في كل عصر من يتبناها ويدعو إليها، وهي موضع رفض ونقد وتشنيع من العلماء المخلصين الغيورين على الدِّين والسنَّة النبوية، ويعتبر الشافعي أول من تعرض لتلك الدعوى وأجاب عنها في كتابه جماع العلم ، كما أفرد لها السيوطي رسالته **"مفتاح الجنَّة في الاحتجاج بالسنَّة"** وممَّا قاله في ذلك: "وإنّ ممّا فاح ريحه في هذا الزمان وكان دارسًا بحمد الله تعالى منذ أزمان، وهو أنَّ قائلاً رافضيًا زنديقًا أكثر في كلامه أنَّ السنَّة النبوية والأحاديث المروية زادها الله علوًا وشرفًا لا يُحتجُّ بها، وأنَّ الحجَّة في القرآن خاصَّة". وفي عصرنا تناول العلماء هذه الشّبهة وردوا على القائلين بها من المستشرقين والمتأثرين بهم من أبناء عصرنا، وأوضحوا أنَّ هذه الشبهة وإن كان ظاهرها يوهم رفع شأن القرآن إلا أنَّها في حقيقتها تدعو إلى هدم القرآن وتضييع أوامره.

المبحث الثالث

أحوال السنة مع القرآن:

السنة مع القرآن لها عدة أحوال أشار إلى ذلك الشافعي في "الرسالة" وابن القيم في "إعلام الموقعين" وغيرهما، ولكن سنكتفي بما قاله ابن عبد البر لأن كلامه مختصر يناسب المقام .

ISSN: 2706-6495

أولا: السنة مبينة للقرآن:

قال ابن عبد البر في" **جامع بيان العلم":** والبيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين:

الأول - بيان المجمل في الكتاب،كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة وحدها ووقتها، وما الذي يؤخذ منه من الأموال وبيانه لمناسك الحج، قال صلى الله عليه وسلم إذ حج بالناس: **(خذوا عني مناسككم)**[١٨] لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج والجهاد دون تفصيل ذلك

أقول :

بمعنى أن الله يأمر بالصلاة بقوله: **(وأقيموا الصلاة)** ثم يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم فيبين صفة الصلاة وهيئتها، وعددها في اليوم والليلة، وعدد ركعاتها في كل صلاة، وشروطها، وأركانها، وواجباتها، ومندوباتها، ومبطلاتها، ومواقيتها، ونحو ذلك، **ثم يقول: "صلوا كما رأيتموني أصلي"**[١٩] ، ولم يقل صلوا كما أمر الله، فدل على أن المرجع في تبيين القرآن هو السنة.

وأمر سبحانه بالحج فقال: (ولله على الناس حج البيت من استطاع سبيلاً)[٢٠]، فجاءت السنة مبينة صفة الحج، وأركانه، وواجباته، ومفسداته، وماذا يجب في كل شيء من تلك المفسدات، لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **" خذوا عني مناسككم"**[٢١] ولم يقل حجوا كما أمر الله.

هكذا في الزكاة، والصيام، وغير ذلك من العبادات.

ومن ذلك أن الله يقول في القرآن العظيم**:"الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"**[٢٢] فجاءت السنة فبينت أن الظلم هنا هو الشرك كما في الحديث المعروف، ولولاه لدخلت كل مراتب الظلم في الآية، ومن ذلك ظلم الإنسان لنفسه كما فهم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا لا يقدر عليه الإنسان، فلاشك أنه سيظلم نفسه أو غيره.

وقال الإمام الشافعي في**" جماع العلم"** ومثل هذا أن الله عز وجل فرض الصلاة والزكاة والحج في كتابه وبين رسول الله صلى الله عليه و سلم معنى ما أراد الله تعالى من عدد الصلاة ومواقيتها وعدد ركوعها وسجودها وسنن الحج وما يعمل المرء منه ويجتنب وأي المال تؤخذ منه الزكاة وكم ووقت ما تؤخذ منه .

وقال الله عز و جل **"والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"**[٢٣] وقال عز ذكره **"الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة"**[٢٤] فلو صرنا إلى ظاهر القرآن قطعنا من لزمه اسم سرقة وضربنا كل من لزمه اسم زنى مائة جلدة، ولما قطع النبي في ربع دينار ولم يقطع في أقل منه ورجم الحرين الثيبين ولم يجلدهما استدللنا على أن الله عز و جل إنما أراد بالقطع والجلد بعض السراق دون بعض وبعض الزناة دون بعض.

ومثل هذا المسح على الخفين، قال الله تعالى عز و جل **"إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا**

18_ رواه البخاري ومسلم .
19_ رواه البخاري .
20_ آل عمران ٩٧.
21_رواه مسلم في صحيحه
22_الأنعام ٨٢.
23_ المائدة ٣٨ .
24_ النور ٢ .

برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين"[٢٥] فلما مسح النبي صلى الله عليه وسلم على الخفين استدللنا على أن فرض الله عز و جل غسل القدمين إنما هو على بعض المتوضئين دون بعض ، وأن المسح لمن أدخل رجليه في الخفين بكمال الطهارة استدلالا بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه لا يمسح والفرض عليه غسل القدم كما لا يدرأ القطع عن بعض السراق وجلد المائة عن بعض الزناة والفرض عليه أن يجلد ويقطع

ثانيا: أن السنة قد تستقل ببعض الأحكام:

ثم قال ابن عبد البرو" **الثاني"** بيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع، إلى أشياء يطول ذكرها قد لخصتها في موضع غير هذا

أقول: وهذا كثير جداً، فالسنة قد استقلت ببيان أشياء كثيرة، منها: بيان مراتب الدين وهي الإسلام والإيمان والإحسان، والذين يقولون: "إن ذلك كله في القرآن" يغالطون أنفسهم، لأن القرآن ذكرها مفرقة، وبدون بيان لحقائق هذه المعاني كما جاء في "حديث جبريل ."

ومن ذلك أشراط الساعة الكبرى والصغرى، كأحاديث المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى، وغير ذلك، ومنها شعيرة الختان التي تعد من أكبر الفوارق العملية بين المسلمين والنصارى، وأما استدلال من استدل بقوله تعالى: **"أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً"**[٢٦] فاستدلاله ضعيف، لأن الآية تأمر باتباع ملة إبراهيم، ولكن إثبات أن الختان من ملة إبراهيم يحتاج إلى نص آخر صريح، ومنها تحريم أصناف من الأطعمة لم ينص عليها القرآن ،كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، ومنها صلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والاستخارة، وغير ذلك من الصلوات، ومنها المسح على الخفين، وحد الخمر، ومنها النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها في وقت واحد، ومنها أحاديث فضائل الصحابة بالأعيان، وأما ما في القرآن من الفضائل فهو بالجملة لا بالأعيان، ويلزم هؤلاء المنكرين للسنة التسوية بين الصحابة في الفضل والمرتبة وهذا خلاف معتقد أهل السنة، ومن ذلك فضائل بعض البقاع المعظمة، وبيان ما فيها من مضاعفة الأجور، وفضائل بعض البلدان كالشام واليمن ونحوهما، ومن ذلك النهي عن البدع، والزيادة في الدين، وبيان عاقبة من يبتدع، ومن ذلك أحاديث فضائل هذه الأمة، وخصائصها، وافتراقها، وتخصيص الطائفة المنصورة منها بالبقاء على الحق، والنجاة من العذاب، ومن ذلك أنواع الكفر، وأقسامه، ومراتبه، وهل وقع الخوارج فيما وقعوا فيه إلا من بعد إعراضهم عن السنة ؟

وأشياء كثيرة لا يمكن حصرها وعدها، وبالجملة فالذي يهدم السنة يهدم الإسلام كله.

الفصل الثاني

المبحث الأول :

منكري السنة "القرآنيون" تحت دائرة الضوء :

واحدة من البدع الضالة القديمة، ظهرت في القرن الثاني الهجري، ثم وئدت في بعض حالاتها بالحجة والحوار بين علماء الأمة

25_ المائدة ٦/٧.
26_ النحل ١٢٣.

وبين أهل هذه البدعة، لكن حالات أخرى اقتضت المواجهة، لما استفحلت الفتنة، وأراد أصحابها، أن يستبدلوا شريعة الله بشريعة الأهواء.

ومنذ بدايات القرن الثالث، لم يسمع أحد، ولم يأت ذكر في كتب التاريخ أو الملل والنحل، لهذه البدعة، حتى أتى الإنجليز إلى واحدة من مراكز الامبراطوريات الإسلامية منذ قرن ونصف القرن من الزمان، ساعين إلى تأكيد سقوطها بكل الوسائل الممكنة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، وعرفوا أن السبيل الأول لتحقيق هذه الأهداف، لن يكون يسيراً قبل سقوط العقيدة الإسلامية الصحيحة، من نفوس وقلوب وعقول المسلمين في الهند الكبرى، واستطاعوا من خلال أصحاب الشهوات والمطامع أن يخترقوا جدران الدعوة، وأن يصنعوا شرخاً بين صفوف الدعاة، وأن يبقظوا فتنة عاصفة بين علماء الأمة، مستغلين مساحة الجهل والأمية التي اتسعت رقعتها بين مجتمعات الامبراطورية، فتصدع البناء، وانهارت الجدران لتسقط على رؤوس المسلمين، وتنتهي امبراطورية الإسلام في الهند.

كانت تلك البدعة، هي الاكتفاء بأحد مصدريّ التشريع الإسلامي وهو كتاب الله الكريم، والاستغناء عن المصدر الثاني وهو السنة النبوية المطهرة، وذلك بالتشكيك بداية في شرعية هذه السنة، ثم التشكيك في صدق ماورد بها من أحكام وتشريعات، ولتحقيق هذين الهدفين المتلازمين، اتخذت سبل عديدة، تعتمد التشكيك في متن الأحاديث، وطرق رواياتها، والرواة، ومن ثم إسقاط الأحكام التي وردت بها.

ومن الهند انتشرت هذه البدعة إلى العراق ومصر وليبيا واندونيسيا وما ليزيا وغيرهم من بلاد المسلمين.

تعريف منكري السنة " القرآنيون":

إذا أردنا أن نضع مفهوما للقرآنيين هو اسم أطلق على تيار إسلامي ظهر في مصر، ولقي استجابة محدودة داخل مصر وخارجها. مسمى قرآنيون أطلقه عليهم في الأصل أعداء القرآنيون لكن القرآنيون يرون أنه لا ضير في نسبتهم للقرآن بل إنه تشريف لهم، ويطلقون على أنفسهم أهل القرآن. ويعد الاختلاف في فكر التيار القرآني هو عدم الأخذ بالأحاديث والروايات المنسوبة لمحمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام أو ما يعرف بالسنة النبوية فالقرآنيون يكتفون بالقرآن كمصدر للتشريع لاعتقادهم أن الله قد وعد بحفظ القرآن فقال: **"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"**[٢٧] ويستدلون على ذلك بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي اجتمع كافة المسلمين على صحته، بينما الأحاديث فيها اختلاف كثير على صحتها بينما ، يوجد اختلاف بين علمائها، من حنفية وحنابلة وشافعية ومالكية وغيرهم، كما لا يعتد القرآنيون بأقوال السلف أو إجماع العلماء أو القياس وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي .

وهي طائفة إحدى حركتين، ثانيتهما القاديانية، رأى فيهما المشروع الإنجليزي في الهند نوعاً جديداً من مناوأة الإسلام، باستدراج عدد من الدعاة، وضمهم إلى صفوفه السياسية مع كثير من القساوسة المنصرين، والإيقاع بهم في شبكة لتحريف الإسلام، تقوم بأعمال ثقافية ومشروعات علمية تبعد الثقة عن النفوس تجاه الحديث الشريف .

بعض من يتسمون بأسماء المسلمين، أحيوا بدعة قديمة، تدعو إلى الاكتفاء بالقرآن عن السنة والأحاديث، وقالوا: حسبنا كتاب الله .

[27]_ الحجر ٩.

ISSN: 2706-6495

في النهاية هي فرقة تتخذ من نصوص الأحاديث النبوية موقف الرفض، أقلهم تشدداً يرفض بعضها، والغلاة منهم يرفضونها إجمالاً وتفصيلاً، وبين الفريقين درجات، وجميعهم يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم مصدراً متفرداً للتشريع، ويطلق عليهم اسم **"القرآنيون" أو"منكري السنة"** .

المبحث الثاني: نشأة القرآنيين وتطورهم:

يمكننا التأريخ لنشأة فرقة منكري السنة النبوية، بظهور فرقة الشيعة وموقفهم العدائي من صحابة رسول الله رضي الله عنهم وصلى الله عليه وآله وسلم، بعد بيعتهم لأبي بكر الصديق إماماً وخليفة للمسلمين، وأرادوا هم ألا يؤم المسلمين أحد من غير بيت النبوة إلى يوم القيامة ... ورفض كل ما يأتي من أخبار وروايات وأحاديث عن طريقهم، بعد أن حكموا عليهم بالكفر والخروج من ملة الإسلام.

ومن أثر شطط الأحكام الضالة لفرقة الخوارج، نسب إليهم الإمام البغدادي، إنكار السنة جملة وتفصيلاً.

فلما جاء **المعتزلة**، كانوا على صنفين في موقفهم من السنة النبوية:

الأول:

كان متشدداً في إيجازه لاحتمال الكذب في السنة بنوعيها؛ المتواتر والآحاد فلا يجوز العمل بها.

الثاني:

كان أخف في إيجازه لاحتمال الكذب في أحاديث الآحاد فلا يجوز العمل بها .

غير أن **المعتزلة** إجمالاً، قد انتهوا إلى:

عدم الاعتراف بالسنة الفعلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

إنكار إقامة الحد على شارب الخمر.

إنكار شفاعة رسول الله صلى الله علية وآله وسلم .

نفي الرؤية عن الله عز وجل .

وهكذا منذ وفاة الرسول صلى الله علية وآله وسلم وحتى أواخر القرن الثاني الهجري، نتيجة للشبهات التي خلفها الشيعة والخوارج والمعتزلة، كان في الأمة من يدعو إلى إلغاء السنة بالكلية، أو قبول بعضها ورفض بعضها، وعدم الاعتداد بها في مصدرية التشريع لأحكام الإسلام .

وقد أفاد الإمام الشافعي رحمه الله، بأنه وجد في زمانه من كان ينكر الحجة في السنة كلها، ويقول بالاعتماد على القرآن وحده .

أبرز شخصياتهم

أولاً: في القارة الهندية

1- عبد الله بن عبد الله الجكرالوي: مؤسس جماعة أهل الذكر، ولد بمقاطعة البنجاب الباكستانية في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي .كان بارعاً في المناظرة والجدل، وتأخذه الحدّة والعنف، وكان كثير الإهانة للتراث الإسلامي، لذلك قلّ أتبَاعه، وخمل ذكره بين الناس .

وقد كان له مؤلفات كثيرة، منها :

ـ تفسير القرآن بآيات الفرقان، في مجلد واحد .

ـ ترجمة القرآن بآيات الفرقان، في ثلاثة مجلدات ضخمة.

ـ رد النسخ المشهور في كلام الرب الغفور .

ـ البيان الصريح لإثبات كراهة التراويح .

استغل البريطانيون الذين كانوا يحتلون القارة الهندية حركة جكرالوي، وقد كان "المشروع البريطاني" يضم في صفوفه عدداً كبيراً من القساوسة المنصرين، الذي أُعجبوا بنهج جكرالوي في إنكار السنة النبوية، وأخذوا يشجعونه، وأخذت كتب التأييد والرسائل تصل إليه من القساوسة، وتعده بالمساعدات المادية، وتشكره على هذا "المجهود الجبار"، كما كشف ذلك لمجلة الاعتصام الأسبوعية، المترجم الذي كان يقوم بترجمة هذه الرسائل لجكرالوي الذي لم يكن يجيد اللغة الإنجليزية.

وجكرالوي كان أحد المتأثرين بأحمد خان، ومما ابتدعه أنه شرّع لأنصاره طريقة جديدة للصلاة، وقال: إن الأذان والإقامة بالشكل الذي يفعله المسلمون بدعة.

٢ـ **أحمد الدين الأمرتسري**: مؤسس فرقة" الأمة الإسلامية"، والمولود سنة ١٨٦١م بمدينة آمرتسر بالهند .

ومن مؤلفاته :

معجزة القرآن، وتفسير بيان للناس وهو في ٧ مجلدات، ولم يكمله، وغيرهما.

كان ناقداً لاذعاً لنظام الميراث عند المسلمين، وغير ذلك، وقد توفي سنة ١٩٣٦م.

3ـ **حافظ محمد أسلم جراجبوري:** ولد سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٠م)، وكان من أركان القرآنيين البارزين، وكاتباً لأحد الأعمدة الرئيسية لصحيفة بيسة اليومية التي كانت تصدر في لاهور بباكستان، وعمل محاضراً في جامعتي عليكرة، والمليّة .

من مؤلفاته:

الوراثة في الإسلام، حياة عمرو بن العاص، تاريخ نجد،تاريخ القرآن ،تاريخ الأمة الإسلامية، عقائد الإسلام.

توفي في نهاية عام ١٩٥٥ في الهند، وكان قبلها، وتحديداً سنة ١٩٤٧، قد هاجر إلى دولة باكستان عند قيامها، لكنه عاد إلى الهند بعد مدة قصيرة لعدم وجود جو مناسب له .

٤ ـ **غلام أحمد برويز:** رئيس جمعية أهل القرآن، ومؤسس حركة طلوع إسلام. ولد سنة ١٩٠٣م بالبنجاب الشرقية في الهند، ونشأ في بداية حياته متأثراً بالطريقة الصوفية الجشتية النظامية التي كان جدّه على صلة وثيقة بها.

أصدر سنة ١٩٣٨ مجلة "طلوع إسلام" دون تسجيلها باسمه الخاص. وكان يمتاز بالاطلاع الواسع على الأفكار الأوربية، ويرى وجوب صبغ الإسلام بها، وبالإضافة إلى ذلك يعتقد أن النظريات العلمية حقائق لا تقبل الجدل والمناقشة، لذا يجب تفسير القرآن بمقتضاها، مثل القول بالتطور في وجود الخلق، وإنكار خوارق العادات .

ويعتبر برويز أكثر القرآنيين كتابة وتأليفاً، حتى أسماه البعض (مؤلف الحركة القرآنية)، **ومن مؤلفاته :**

ـ تبويب القرآن في ثلاثة مجلدات، وهو عبارة عن معجم لبعض معاني القرآن .

ومنها: أنا والرب، إبليس وآدم ،المجتمع المسلم،عالم الغد ،الحركة القاديانية وختم النبوة، القرآن والدكتور محمد إقبال.

وقف علماء القارة الهندية له ـ ولغيره ـ بالمرصاد، وفندوا عقائده وأفكاره، وكان للشيخ المودودي دور كبير في تسليط الأضواء

ISSN: 2706-6495

على أفكار برويز، وتحذير الناس من اتباعها. وفي سنة ١٩٦١م، وضعت أفكار برويز ومعتقداته على طاولة البحث الإسلامي أمام العلماء ليفتوا فيها، وتولى إجراء هذا الاستفتاء المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي، فأفتى ما لا يقل عن ألف عالم من علماء الدين من باكستان والهند والشام والحجاز بتكفيره وخروجه عن ربقة الإسلام وقد توفي سنة ١٩٨٥.

٥ ـ**جعفر شاه بلواري:** أحد زعماء جماعة "طلوع إسلام"، وأحد المكثرين في الكتابة عن آراء القرآنيين في الآونة المعاصرة. تقلد عدة مناصب حكومية في باكستان، وفي السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، كان أحد أعضاء إدارة الثقافة الإسلامية بلاهور، التي تعمل تحت إشراف الدولة .

وله عدة مؤلفات منها :مقام السنة، رياض السنة، الدين يسر .

٦- **محمد رمضان:** أحد تلاميذ عبد الله جكرالوي، من أهم أعماله إصدار مجلة بلاغ القرآن التي لا تزال تحمل آراء بعض القرآنيين إلى الآفاق الباكستانية حتى الآن، وله من المؤلفات (صلاة القرآن كما علّم الرحمن). توفي سنة ١٩٣٩م .

٧ ـ**جراغ علي**: تأثر بأفكار أحمد خان عندما شاركه بترجمة بعض الكتب، وكان يطالب بإعادة تدوين الفقه الإسلامي من جديد . وعن قواعد الجرح والتعديل، والمعايير التي وضعها علماء الحديث لتمييز الحديث الصحيح من غيره، كان يقول: ".. لا حاجة إليها لتمييز صحيح الحديث من سقيمه، لأن الحديث ـ في حد ذاته ـ شيء لا يمكن الاعتماد عليه.

٨ ـ**عناية الله المشرقي:** خريج جامعة كامبردج في بريطانيا. أخذ على عاتقه مهاجمة العلماء والسخرية منهم، معتبراً أنهم "تقليديون ."

ثانيا: في مصر

1- د. أحمد صبحي منصور: كان يعمل أستاذاً بجامعة الأزهر، فتم فصله بسبب انحرافاته. غادر مصر إلى الولايات المتحدة واستقر بها. ويعتبر الأب الروحي للقرآنيين في مصر

٢ـ**جمال البنا:** ابن العالم الجليل المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وهو شقيق فضيلة الشيخ حسن البنا المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين.

لم يتناول أحد حتى الآن نقد أعماله التي تجاوزت عشر إصدارات في مخاصمة السنة النبوية، خلال الأعوام العشرة الأخيرة من القرن العشرين.

٣ـ**أمين يوسف علي:** الزعيم السابق للقرآنيين بمنطقة المطرية بالقاهرة، وكان يعمل خطيباً بمساجد وزارة الأوقاف. وهو أحد الذين تم حبسهم في قضية هذا التنظيم عام2002 م.

٤ ـ **علي المندوة السيسي:** وهو أحد الذين تم حبسهم أيضاً عام ٢٠٠٢، لمدة ٣ سنوات .

٥ ـ **إيهاب عبده:** صاحب كتاب "استحالة وجود عذاب في القبر ."

وينبغي هنا الإشارة إلى أن حركة إنكار السنة كليّاً أو جزئياً في مصر، وبعض البلدان العربية سبقت تنظيم القرآنيين الذين صدرت بحق أفراده أحكام بالسجن سنة ٢٠٠٢ .

ISSN: 2706-6495

ويمكن أن نورد عدداً من الأسماء التي عادت السنة النبوية، وادّعت الاكتفاء بالقرآن الكريم، أو من أولئك الذين ادّعوا حملهم للواء التجديد والإصلاح الديني :

1- محمد عبده: مفتي الديار المصرية السابق (ت ١٩٠٥م) من أقواله: "لا يمكن لهذه الأمة أن تقوم مادامت هذه الكتب فيها (أي الكتب التي تدرس في الأزهر وأمثالها)، ولن تقوم إلاّ بالروح التي كانت في القرن الأول، وهو (القرآن). وكل ما عداه فهو حجاب قائم بينه وبين العلم والعمل.

٢ **-محمود أبو رية**: في كتابيه" أضواء على السنة المحمدية" و "شيخ المضيرة أبو هريرة". وقد حاكمه الأزهر على كتابيه، ومنع نشرهما.

٣**-صالح أبو بكر:** وهو من مصر أيضاً، وقد ألف كتاباً من مجلدين في نقد صحيح البخاري أسماه "الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها"، وقد أمرت لجنة البحوث الأزهرية بمنع هذا الكتاب ومصادرته بسبب تشكيكه بأصح كتب الحديث، ألا وهو صحيح البخاري.

٤ **-أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢- ١٩٥٥)**: في كتابه "ثورة الإسلام"، الذي قال فيه (ص٤٤): "هذه سنن ابن ماجة والبخاري، وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرضى نسبتها إلى الرسول، وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي الأعظم، والعياذ بالله."

5- د. حسن الترابي: من السودان، في بعض مؤلفاته مثل: "تاريخ التجديد الإسلامي ."

٦ **-أحمد أمين (١٨٨٧- ١٩٥٤):** في فصل الحديث في كل من كتابيه "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام"، فقد هاجم منهج المحدثين وكان من حين لآخر يردد آراء المستشرقين وشبهاتهم حول السنة.

7- محمد بخيت: كان من مدرسي الأزهر، وقد أجاز في أحد أبحاثه تولي غير المسلم سدّة الخلافة العظمى، بعد أن أنكر جميع ما ورد في السنة، وأوّل آيات القرآن تأويلاً يوافق مذهبه، تبريراً للحكم الإنجليزي في مصر آنذاك.

المبحث الثالث: مصادر التلقي:

أن مصادر التلقي لجماعات منكري السنة، هي أربعة مصادر :

الخوارج _ الشيعة _ المعتزلة _ وحديثا: المستشرقين.

المصدر الأول ((الخوارج)):

الخوارج هم هؤلاء القوم الذين أنكروا على سيدنا على رضي الله عنه، التحكيم في موقعة صفين، وتبرأوا منه، ثم تبرأوا من سيدنا عثمان رضي الله عنه وذريته وأعلنوا عليهم القتال خروجاً على خيار المسلمين.

ولم يكن في الخوارج أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من فقهاء أصحاب الصحابة من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ولو كان منهم أحد ما اجترأوا على الفتنة والخروج على خليفة المسلمين عثمان بن عفان، واتهامه بالكفر،

ISSN: 2706-6495

ثم قتله طلباً للدنيا وحقداً وحسداً له، وقلة دين وضعف يقين كما خاطبهم الإمام علي كرم الله وجهه.

ويمكن تحديد الأسس التي اعتمد عليها الخوارج، فيما يلي :

أن الصحابة رضوان الله عليهم، أشركوا بعد الاشتراك في الفتنة، فلا يصح أخذ علم الدين عنهم، وبذلك :

رد الأحاديث التي رويت في الأحكام السابقة عن جمهور الصحابة بعد الفتنة لقبولهم التحكيم أو الرضي به أو أتباع أئمة الجور (حسب زعمهم) وبذلك فَقَدَ الصحابة عدالتهم وثقتهم في نقل علم الدين.

لم يقبلوا من السنة إلا ما جاء عن طريق صحابي لم يشترك في الفتنة الكبري وما بعدها من الأحداث.

ردوا أحاديث جمهور الصحابة التي ظهرت بعد الفتنة أوقعهم ذلك في أن شذوا عن

المسلمين بآراء كثيرة كان لها أكبر الأثر فيما أثير حول السنة من الشبهات.

وينقل عن الخوارج أنهم أنكروا حجية الإجماع والسنن الشرعية، وزعموا أنه لا حجية في شيء من شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن.

ويقول ابن حزم الظاهري: وقد تسمي باسم الإسلام، من أجمعت جميع فرق الإسلام على أنه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج الذين غلوا، فقالوا إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي.

كما أنكروا :

حد الرجم، والمسح على الخفين.

وقطعوا يد السارق في القليل والكثير لأن الأمر بقطع السارق في القرآن مطلق، ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع ولا الرواية في اعتبار الحرز فيه.

وقالت" الأزارقة"إحدى فرقهم بـ :

استحلال كفر الأمانة التي أمر الله بأدائها.

إسقاط الحد على قاذف الرجل المحصن

إقامة الحد على قاذف المحصنات.

ثم أتت فرقة **النجدات**، فأضافت على سابقتها، ضلالة إسقاط حد الخمر.

أما فرقة **الميمونية**، فأباحت نكاح ابنة الإبنة وابنة الابن، وبنات وأولاد الأشقاء والشقيقات، لأن القرآن لم يحرمهم.

وشرّعت فرقة **المعبدية أخذ الزكاة من العبيد وتوزيعها عليهم.**

ولذا نسب البغدادي، في كتابه أصول الدين إنكار السنة كلها إلى الخوارج، لإنكارهم البدهيات الثابتة عن طريقها، فقال: والثابت عن الخوارج إنكارها حجة الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن.

وتتلخص حجج هؤلاء منكري السنة " القرآنيون" الأوائل في موقفهم من السنة فيما يلي :

إن القرآن حوى بين دفتيه تبيان كل شيء وتفصيل ما تحتاج إليه الأمة مما لايدع مجالاً للسنة في دين الله.

إذا جاءت الأخبار بأحكام لم ترد بالقرآن، كان ذلك معارضة من ظني الثبوت وهو الأخبار والأحاديث، لقطعي الثبوت "وهو القرآن الكريم".

وإن جاءت الأخبار مؤكدة ومؤيدة لحكم القرآن، كان الاتباع للقرآن لا للسنة.

وإن جاءت مبينة لما أجمله القرآن، كان ذلك تبياناً للقطعي الذي يَكفُر منكر حرف منه، بظني لايَكفُر من أنكر ثبوته.

تروي السنة عن طريق رجال لا يرتفع احتمال الكذب وخيانة الذاكرة عنهم، ما نتج عنه رفع الثقة المطلوبة من القطعية واليقين في الشعائر الدينية الثابتة عن طريق هذا المصدر التشريعي في الإسلام، فلا يستساغ أن يثبت بموجبها شيء في دين الله عز وجل.

إذ أن السنة كلها لا تعدو مرحلة الظن والوهم مع أن حسن الظن في الراوي والمروي مما لامقام له في دين الله سبحانه وتعالى.

المصدر الثاني ((الشيعة)):

قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد بأن علياً رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن علياً أحق بها من سائر الصحابة بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم، كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها، وملأوا بها كتبهم، قديماً وحديثاً

وقد قسم الحافظ الذهبي التشيع إلى نوعين:

أ- تشيع بلا غلو، يفضل على بن أبي طالب على سائر الصحابة دون إكفار واحد منهم ولا سب ولا بغض.

ب - تشيع مع غلو، يقوم على تكفير الصحابة جميعاً وسبهم ولعنهم (إلا نفر يسير) كما يتبرأ من الشيخين البخاري ومسلم.

وقد ورد في أصح الكتب عندهم بعد كتاب الله عز وجل وهو الكافي، الذي يعد عندهم، كالبخاري عند أهل السنة: **كان الناس أهل ردة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم.وفيه أيضاً: إن أهل مكه ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً.**

وكان لهجومهم وتجنيهم على الصحابة، الأثر الكبير فيما أثير حول السنة والقرآن من شبهات، إذ لا يعتبرون إلا بما صح لهم من طرق أهل البيت، يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما ما يرويه أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، ونظائرهم، فليس لهم عند الإمامية (من أعتى فرق الشيعة) من الاعتبار مقدار بعوضة.

ISSN: 2706-6495

ووفق هذا الاعتقاد، أسقطوا كل السنة، وما يتعلق بها من مرويات ورواة ومتون وأسانيد وصحاح، وبالتبعية خضع القرآن الكريم وتفاسيره إلى نفس شروطهم الاعتقادية فيما يقبل وفيما لا يقبل، مما ضل به الخوارج وزيادة.

المصدر الثالث ((المعتزلة)):

ظهرت المعتزلة في الفترة من ١٠٥: ١١٠هـ، وسميت بهذا الاسم على أرجح الأقوال لا عتزال واصل بن عطاء وأصحابه، مجلس حسن البصري، لانفراد رأيه في مرتكب الكبيرة، ثم بعد ذلك استقلالهم الفردي في الأفكار العقلية الشاذة التي خرجت على إجماع الأمة الإسلامية في عهودها المجيدة.

ونقلاً عن د/غالب عواجي :إن هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً، فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية وبلاد فارس، ومثلهم الزيدية في اليمن ... وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين

وهم قوم من المتكلمين فتنتهم الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني، وما نقل من الفلسفة الهندية والأدب الفارسي، وكان جمهورهم ممن ينتمون إلى أصل فارس فأولوا القرآن الكريم لينسجم مع الفلسفة اليونانية وكذبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية اليونانية الوثنية، واعتبروا فلاسفة اليونان أنبياء العقل الذي لا خطأ فيه.

ومن هنا ذهب المعتزلة إلى القول بـ:

** جواز أن تجتمع الأمة على الخطأ.

** لأن الأخبار المتواترة لا حجة فيها.

** ولأنها يجوز وأن يكون وقوعها كذباً.

** وطعنوا في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم .

** وأبطلوا القياس في الشريعة .

وذكر الجاحظ في كتابه (المعارف) وكتابه (الفتيا)، أن النظّام أحد كبار المعتزلة

** عاب على أصحاب الحديث، روايتهم لأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه .

** وزعم أن أبا هريرة رضي الله عنه كان أكذب الناس.

** وطعن في الفاروق عمر رضي الله عنه ...

** وكذّب ابن مسعود رضي الله عنه .

ولم يكن موقف أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وتلميذ واصل بن عطاء، أقل شطحاً من موقف النظّام من السنة، فقد ذكر عن أبي الهذيل العلاف قال:

** إن الحجة لا تقوم فيما غاب، إلا بخبر عشرين، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر.

** ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله، معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر.

** إذ يجوز كذب جماعة ممن لا يحصون عدداً، إذا لم يكونوا أولياء.

ISSN: 2706-6495

فإذا جاز الكذب في الخبر المتواتر فتجويزهم إياه في الآحاد أولى، وتصبح الحجة بأحكام الشريعة معدومة عند هؤلاء، إلا ماذكره القرآن الكريم.

ووفق هذا الميزان المعتل، ابتليت كل فرق المعتزلة، بإنكار السنة النبوية:

** فمنهم من أنكر بعضاً من أحاديث الآحاد وقبل البعض الآخر.

** ومنهم كانت فرقة **الجعفرية المبشرية**، التي خطّأت إجماع الصحابة في:

إقامة الحد على شارب الخمر، التزاماً بالنص القرآني.

ـ عدم الاعتراف بالسنة الفعلية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحد من حدود الله.

** وكان الخياط وهو من كبار المعتزلة ينكر الحجة في أخبار الآحاد ويقول: (إنها محتملة الكذب)، وبذلك رد أكثر الفروض الفقهية المبنية على هذه الأخبار.

** أما ما ورد من السنة فيما غاب عن الحس، ولا سيما ما جاء منه خبراً عما يصير إليه الإنسان بعد الموت، فهو مرفوض لدي أكثر المعتزلة.

** فلذا أنكروا عذاب القبر ومنكر ونكير.

** وتردد قولهم في الصراط بين الإثبات والنفي.

** كما أجمعوا على نفي الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وصرح القاضي عبد الجبار وهو من كبار المعتزلة أيضاً، بإنكار هذه الشفاعة فقال: عندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة، ويدل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلوا:

** إما أن يشفع أو لاً، فإن لم يشفع لم يجز، لأنه يقدح بإكرامه.

** وإن شفع فيه لم يجز أيضاً، لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح...

** وكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي عليه السلام؟.

والأدهي والأمر من كل ما سبق، أن القاضي أوجب نفي الرؤية عن الله.

وموجز القول :إن موقف المعتزلة من إنكار السنة، ولا سيما إنكار آحادها في مجال العقيدة، شائع بينهم لا يسع الباحث نفيه، ويعود هذا النفي في جوهره إلى اعتمادهم على العقل وتقديمهم له على النص، فيقول الجاحظ: (فما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستنابة إلا للعقل)

وربما تبادر إلي الذهن أن هذه الطائفة تقبل المتواتر من الأخبار لأنه يفيد القطع واليقين، والذي يظهر أن هؤلاء لا يعتبرون أن هؤلاء لا يعتبرون المتواتر قطعياً لأنه جاء من طرق آحادها ظنية، فاحتمال الكذب أو ضعف الذاكرة أو حسن الظن لايزال فيه قائماً .

المصدر الرابع ((الإستشراق)) :

الإستشراق هو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بشعوب الشرقيين وتعني به الدراسات الإسلامية؛ تلك الجهود الاستشراقية التي تبذل لخدمة أغراض التنصير ومحاربة الإسلام.

ISSN: 2706-6495

وقد كان الاستشراق، هو المعين الذي لا ينضب لإثارة الشبهات حول القرآن والسنة، لجماعات وأفراد منكري السنة في بلاد المسلمين جميعاً، حيث استطاع المستشرقون جمع تراث الخوارج والمعتزلة والشيعة وكل الفرق الباطنية **ويوزعوه علي تلك المدارس بحسب سياسات ومعايير دقيقة وفق المنهج التالي :**

1- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوربية، اعتماداً على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم المحدود والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام.

٢- تحديد أفكار مسبقة ثم اللجوء إلي النصوص لإثباتها واستبعاد ما يخالفها.

3- الاعتماد على الضعيف والشاذ من الأخبار والأحاديث، وغض الطرف عن الصحيح والثابت

٤- تحريف النصوص ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً وإساءة فهم وتأويل ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه.

٥- عدم استيعاب المضامين الشرعية الصحيحة بسبب الجهل باللغة العربية.

٦- الخلل المتعمد في استخدام مصادر البحث والمرجعية العلمية، للحكم بفساد متون الأحاديث النبوية.

٧- إبراز الخلافات بين الفرق، وصناعة الشبة التي تزيد الفرقة وتصور متناقضات واختلافات بين الأخبار، راجعة لقلة العلم وسوء الفهم.

٨- ترقية الاستنتاجات الخاطئة والوهمية، وليدة قلة العلم وسوء الفهم والتعصب وجعلها أحكاماً يقينية يكثرون من ترديدها وترويجها ليصبح إجماعهم عليها يقيناً كما لو كان شرعياً.

٩- الرؤى العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية.

١٠- وفقاً لمناهج حياتهم الفاسدة لجأوا إلى تفسير سلوك المسلمين أفراداً وجماعات، بأنه مدفوع بأغراض شخصية ونوازع نفسية دنيوية، لعدم قناعتهم بأن يكون الدافع ابتغاء مرضاة الله .

أفكارهم ومعتقداتهم :

١ - اعتبار القرآن الكريم المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية دون سواه.

٢ - استبعاد كل المصادر الأخرى المشكلة للشريعة الإسلامية كالسنة، والسيرة والتفسير والقياس والاجتهاد وسير الصحابة والإجماع وفتاوى الأئمة .

٣ - وفيما يتعلق بالسنة النبوية على وجه التحديد، فقد وجّه القرآنيون سهامهم نحوها، وأبعدوها من مذهبهم، منكرين أنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل ومنكرين لها جملة وتفصيلاً بزعم أنها غير محفوظة مثل القرآن، وأن نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم غير يقينية .

٤ - ادعاؤهم بأن الصوم في شهر شعبان، وليس في رمضان .

٥ - اعتبارهم أن الكعبة صنم، وأن الطواف حولها من طقوس الوثنيين في الجاهلية .

٦ - ينكرون وجود النسخ بأقسامه الثلاثة "نسخ الحكم، ونسخ التلاوة، ونسخ الحكم والتلاوة" في القرآن الكريم، معللين ذلك بقولهم (الإقرار بوجود الآيات المنسوخة في القرآن يستلزم مخالفة القرآن نفسه، إذ يقع الجرح في العلم الإلهي بحيث أن بعض أحكام القرآن استلزم النسخ لعدم مسايرتها الظروف الزمنية.

٧ - يرى بعضهم أن لا وجود للمجمل في القرآن الكريم، كما يختلفون في مسألة تخصيص القرآن، وتقييده بغيره، إذ قال بعضهم: "وإن القرآن الكريم برئ من عيب الإجمال، والإطلاق كبراءة الله وطهارته، لأنه لا يتصور تخصيص العام أو تعميم الخاص أو تقييد المطلق أو إطلاق المقيد إلاّ من المتكلم، أو ممن هو أعلى منه، لا ممن يساويه في الرتبة، وكيف من المخلوق في كلام الخالق

٨ - يعتمدون في فهم القرآن وتفسيره على اللغة العربية فقط، وذلك بسبب استبعادهم للسنة النبوية الموضحة والمفصلة للقرآن، فصرفوا الآيات والأحكام عن مرادها. ومن أمثلة ذلك قول الحافظ محمد أسلم منتقداً المفسرين لعدم سلوكهم هذا المسلك:

"المفسرون يبحثون عن غير القرآن أكثر منه في القرآن..، وإن القرآن لو نظرنا إليه بعين بصيرة لوجدناه مفصّلاً، ففيه تفسير حقائقه، وحل مشكلاته، وشرح مصطلحاته...، وكل ذلك يعود فهمه إلى تعلم العربية، فمن عرف العربية فهم القرآن دون معونة أي علم آخر.

وقد جاء في تفسيرهم للطواف مثلاً قولهم: "ليس معنى الطواف أن تدور حول البيت، بل معناه أن نتردد إليه بين الحين والآخر.

٩ - تبني نظرية (مركز الملّة) التي تعني أن الآيات التي تأمر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم غير مختصة بهما، إنما تعني طاعة الحاكم أو الإمام الذي يتولى منصب النبي صلى الله عليه وسلم من بعده .

وقد أعطوا لهذا (المركز) صلاحيات تعيين حكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، دون أن يلتزم بما سبقته من الأنظمة، والتمتع بالتحريم والإطلاق والتقييد لما يراه غير موافق لظروفه من الأحكام القرآنية .

10- وفي الجانب الاقتصادي، يروجون للنظرية الاشتراكية، التي تبنتها الشيوعية ويطلقون عليها (نظرية نظام القرآن الاقتصادي)، وتعني سيطرة الدولة على الثروات ووسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الفردية. ويقول غلام برويز: "يجب على الدولة الإسلامية أن تلبي جميع حاجيات شعبها "وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها" وبنص الآية تضمن الدولة جميع متطلبات شعبها، وهي التي تقول لهم: " نحن نرزقهم وإياكم "

ويقول أيضا: "في ظل هذا النظام لا يجوز جمع المادة البتة، وقد جاء الوعيد الشديد على من يجمعها. قال تعالى: **"والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم"**[٢٨]وفي النظام القرآني لا يمكن البقاء للأموال النافلة في أيدي أصحابها، ولاسيما أن نتصور الملكية الفردية تحت حكم هذا النظام، بل تعمم الأرض والأموال والمصانع والتجارة للملكية الجماعية، حتى يستطيع هذا النظام القيام بتلبية ما يحتاج إليه أفراده.

11- إنكار وقوع خوارق العادات من محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته من بعده، ما عدا معجزة القرآن، يقول الحافظ أسلم" :لم يعط النبي صلى الله عليه وسلم معجزة سوى القرآن، بينما الأحاديث ذكرت له معجزات حسّية كثيرة.

١٢- ذهب بعضهم إلى القول بأن المسيح عيسى بن مريم ولد من أبوين شرعيين، لا من مريم وحدها. كما صرح بعضهم بعدم عودته إلى الأرض مرة أخرى، وقالوا بأن معتقد العودة دخل إلى الإسلام من المسلمين الذين كانوا نصارى قبل الإسلام .

١٣- ينكر القرآنيون الحياة البرزخية في القبر. أما الجنة والنار، فذهب بعضهم إلى أنهما (أماكن حقيقية ستخلق يوم القيامة، وأنه

[28]_التوبة ٣٤.

ISSN: 2706-6495

لا وجود لهما حالياً)، وذهب فريق ثانٍ إلى (أن الجنة والنار وما وصفتا به من نعيم وعذاب صورتان تمثيليتان)، ورأى فريق ثالث أن "الجنة والنار طور من أطوار الحياة البشرية، وإن نمو الحياة وازدهارها يعني حياة الجنة،

وتوقفها وعدم الرقي فيها يعني حياة الجحيم والنار.

14- لهم آراء في الميراث تخالف ما عليه أهل السنة، مثل اعتقادهم بأن اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث، وأن الأنبياء يورثون، وأن الرق لا يمنع من الميراث، وأن أولي الأرحام هم من يرتبط الميت بهم بصلة الرحم والقرابة، فيدخل فيهم الأب والأم والأولاد والاخوة والأخوات والأعمام وأبناء الإخوة...

الفصل الثالث

شبهات القرآنيين والرد عليها

نصل الآن إلى جوهر هذا البحث عن القرأنيين منكري السنة، حيث نستعرض أبرز شبهاتهم التي أرادوا من خلالها تدعيم مذهبهم القائم على إنكار السنة،

ويزعمون أن هذه الشبه هي في الوقت ذاته أدلة قاطة على وجوب ترك السنة النبوية المطهرة وإهمالها والإنصراف عنها، وعدم إعتبارها مصدرا للتشريع والإقتصار على القرآن الكريم مضدرا وحيدا للتشريع الإسلامي.

وسنذكر الآن شبهاتهم كما أوردوها، ثم ننفدها ونرد عليها ونبين بطلانها.

الشبهة الأولى

قولهم: إن القرآن الكريم كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، وإن القرآن قد اشتمل على الدين كله، بجملته وتفصيله، بكلياته وجزئياته، وأنه يحتوي جميع الأحكام التشريعية بتفصيلاتها، ما ترك شيئاً ولا فرط في شيء. ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة لمصدر ثان للتشريع. فالسنة لا حاجة إليها، ولا مكان لها .. وقد استدلوا لشبهتهم هذه بما زعموه أدلة من القرآن المجيد. من ذلك قوله عزوجل **" ما فرطنا في الكتاب من شيء "**[29]، واستدلوا: كذلك بقول الله عزوجل يصف القرآن الكريم: **"ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "**[30]. ، وكذلك استدلوا بالآيات التي وصف الله سبحانه وتعالى القرآن فيها بأنه " مبين "

[29]_ الأنعام ٣٨ .
[30]_ يوسف ١١١.



من مثل قول الله عز وجل **"إن هو إلا ذكر وقرآن مبين "**[٣١].

أما وجه استدلالهم بتلك الآيات: فإن الآية الأولى بين الله عزوجل فيها أنه سبحانه ـ ذكر كل شيء في القرآن الكريم، ولم يفرط في الكتاب من شيء بمعنى أنه ـ سبحانه ـ لم يترك صغيرة ولا كبيرة، ولم يدع أمراً من أمور الدين، أو حكما من أحكام الشرع يحتاج إليه الناس في عقائد أو عبادات أو معاملات إلا قد ذكره في القرآن، وإذا كان الأمر كذلك ؛

فما حاجتنا إلى مصدر آخر غير القرآن، إن إضافة مصدر آخر إلى القرآن الذي لم يترك شيئا، ولم يفرط الله فيه من شيء، إنما يعني أن نزيد في شرع الله ما ليس منه، وأن نخلط شرع الله الذي أنزل به كتابه بشرع من عند غير الله ـ تعالى ـ وهذا باطل فاسد، وفساده إنما أتى من الاعتماد في الدين على غير كتاب الله الذي فصل كل شيء وأحاط بكل شيء .

واشتمال القرآن على تفصيل كل شيء إنما هو واضح في وصف الله عزوجل القرآن بأنه **" تفصيل كل شيء "**[٣٢] وإذا كان القرآن فصل كل شيء ؛ فما حاجتنا إلى السنة ؟. وماذا سنفيد منها؟ .. كذلكم الآيات التي وصفت القرآن بأنه " مبين " ووصفت آياته بأنها **" آيات بينات "** فهذه تقطع السبيل على من يقولون إن السنة مبينة للقرآن ومفصلة. فهذا هو القرآن يتحدث عن نفسه في آياته القاطعات، بأنه قد اشتمل على كل شيء، وفصل كل شيء، وبين كل شيء، وبهذا يتضح أن السنة لا محل لها من التشريع، ولا حاجة إليها من بيان أو تفصيل أو توضيح .

تفنيد الشبهة والرد عليها :

إن القول بهذه الشبهة يدل على جهل بالقرآن المجيد، وعدم فهم لآياته، بل يدل على سوء قصد لدى القائلين بها. فإن الأمة مجمعة على أن القرآن العظيم قد اشتمل الدين مجملاً في كثير من جوانبه وأحكامه، ومفصلاً في جوانب أخرى، وقد جاءت السنة النبوية المطهرة فبينت المجمل وفصلته، والنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبين ويفصل إنما ينفذ أمر الله عزوجل ويؤدي ما وكله الله تعالى ـ إليه من بيان القرآن المنزل علىالخلق، تطبيقاً واستجابة لأمر الله عز وجل في قوله **" وأنـزلنا إليــك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون "**[٣٣]

فالقرآن المجيد قد اشتمل على قضايا الدين، وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصل بعضها وأجمل جمهرتها، وإنما جاء المجمل في القرآن بناء على حكمة الله عز وجل ، التي اقتضت أن يتولى رسوله صلى الله عليه وسلم ، تفصيل ذلك المجمل وبيانه وهذا هو ما قام عليه واقع الإسلام، وأجمعت عليه أمته، ومن ثم فلا وزن لمن يقول بغير ذلك أو يعارضه، لأن معارضته مغالطة واضحة وبهتان عظيم، وإذا كان أصحاب هذه الشبهة يزعمون أن القرآن المجيد قد فصل كل شيء، وبين كل صغيرة وكبيرة في الدين ،فلنحتكم وإياهم إلى عماد الدين الصلاة ، أين في القرآن الكريم عدد الصلوات، ووقت كل صلاة ابتداء وانتهاء، وعدد ركعات كل صلاة، والسجدات في كل ركعة، وهيئاتها، وأركانها، وما يقرأ فيها، وواجباتها، وسننها، ونواقضها، إلى غير ذلك من أحكام لا يمكن أن تقام الصلاة بدونها؟ ومثل ذلك يقال في أحكام العبادات كافة، إن القرآن العظيم قد ورد فيه الأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج، فأين نجد منه الأنواع التي تخرج منها الزكاة، ومقدار كل نوع، وأين نجد أحكام الصيام؟ وأين نجد مناسك الحج؟ إن الله سبحانه وتعالى قد وكل بيان ذلك إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ،الذي لا

[31]_ يس ٦٩.
[32]_ يوسف ١١١.
[33]_ النحل ٤٤.

ISSN: 2706-6495

ينطق عن الهوى، وجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم-
فقال : " **صلوا كما رأيتموني أصلي** "[٣٤]، ولم يقل : كما تجدون في القرآن، لأن القرآن قد خلا من تفصيل الأحكام وبيانها . ولعل من حكمة الله سبحانه وتعالى في ترك التفاصيل والبيان لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن تفصيل الأحكام وبيان جزئياتها ، وتوضيح دقائقها ، إنما يكون بالطريق العملي أولى وأجدى ، ولو أن الأحكام فصلت قولاً نظرياً، لما استغنت عن بيان عملي واقعي .

ولعله من الحكمة وراء ذلك أيضا بيان ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، من منزلة سامية لا يشاركه فيها غيره، ومكانة رفيعة عالية لا يرقى إليها سواه، وذلك بإسناد الله عزوجل تفصيل الأحكام وبيانها إليه صلى الله عليه وسلم ، إذ لو كان كل شيء مفصلا مبينا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل غيره من الناس مطبقاً لما هو قائم فعلاً، لكن الله عز وجل اختصه صلى الله عليه وسلم بتفصيل الأحكام وبيان مجمل القرآن تكريماً لشأنه وإعلاء لمنزلته، وليس ذلك أمراً قائماً بذاته، بل هو مبني على ما سبق أن بيناه من حِكَم.

أما هؤلاء الذين أثاروا هذه الشبهة فقد ارتكبوا عدداً من الأخطاء : أول هذه الأخطاء أنهم لم يحاولوا أن يفهموا الموضوع في إطار القرآن الكريم كله، وإنما أخذوا آية واحدة أو آيات وركزوا كلامهم فيها، وبنوا مذهبهم الفاسد عليها، وتركوا القرآن المجيد كله بما فيه من آيات واضحات تتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً. ومن هنا فقد حملوا الآيات التي اختاروها ما لا تحتمل، ووجهوا معناها الوجهات الخطأ التي أرادوها هم، وليس التي تنطق بها الآيات، ومن البدهيات التي يعلمها عامة الناس بله العلماء أن القرآن يفسر بعضه بعضا، وأن آياته إنما يفهم بعضها في إطار البعض الآخر، وأن تفسير بعض الآيات بعيداً عن بقية الكتاب الكريم قد يكون خطأ يؤدي إلى محظورين خطيرين:

الأول :عدم فهم المراد من الآيات فهماً صحيحاً.

الثاني: أن يضرب القرآن بعضه ببعض، وأن تعارض بعض آياته بالبعض الآخر، وهذا جرم عظيم، لا يرتكبه إلا مجرم أثيم، وهؤلاء قد اعتمدوا آية أو بضع آيات من القرآن، ثم عزلوها عن بقية ما في القرآن المجيد من آيات بينات في نفس الموضوع، ثم حملوها من المعاني مالا تحتمل، عن سوء قصد وتعسف، ولعل تفنيد شبهتهم هذه يقتضينا، إلى جانب ما ذكرنا، توضيح معاني الآيات التي استدلوا بها، حتى تبطل شبهتهم هذه بتمامها. وتنهار من أساسها .

إن عمدتهم في الاستدلال على ما ذهبوا إليه هو قول الله عز وجل: **"ما فرطنا في الكتاب من شيء "**[٣٥] ، مدعين أن هذه الآية تعني أن الكتاب الكريم قد احتوى تفصيل كل صغيرة وكبيرة وبيانها، ومن ثم فلا حاجة إلى السنة التي تبينه وتفصله، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالكتاب في الآية الكريمة، إنما هو اللوح المحفوظ، وليس القرآن الكريم، وسياق الآية كاملة يرجح هذا، فالآية الكريمة كاملة : **" وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم. ما فرطنا في الكتاب من شيء. ثم إلى ربهم يحشرون "**[٣٦] فالآية تتحدث عن عظيـم علـم الله تعالى وإحاطته بكل شيء في الوجود من دواب وطيور

34_ رواه البخاري .
35_ الأنعام ٣٨.
36_ الأنعام ٣٨.

وغيرها، وقد شمل علم الله سبحانه كل شيء، وقدر ما يقع لكل منها، ثم إليه يحشر الكل، وذلك كقوله تعالى: **" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها. إن ذلك على الله يسير"**[37] ،

فالكتاب الذي احتوى كل شيء كان أو كائن أو يكون إنما هو اللوح المحفوظ وعلى تفسير الكتاب بأنه القرآن الكريم، فقد قال المفسرون أن معنى الآية إن الله تعالى قد ضمن القرآن الكريم كل ما يحتاج إليه المكلفون من أوامر ونواه، وعقائد وشرائع، وبشارة ونذارة إلى غير ذلك، وليس معنى ذلك أنه لا يحتاج إلى السنة المبينة له، فهو وحي، والسنة وحي،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وقد قال عنه ربه سبحانه **" وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحي يوحى"**[38] فالله سبحانه وتعالى الذي ضمن القرآن العظيم قضايا الدين وأصول الأحكام مجملة، هو سبحانه الذي وجه الناس وأرشدهم إلى الطريق الذي يحصلون منه على تفصيل ذلك المجمل وبيانه، وقد جاء التوجيه في القرآن نفسه فقد قال الله عز وجل : **" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم "**[39]، وقال تبارك وتعالى-: **" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "**[40]. وغير ذلك آيات كثيرة تأمر المؤمنين بطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والأخذ عنه .. وبذلك يتضح معنى الآية الكريمة **: " ما فرطنا في الكتاب من شيء"**، وأن الكتاب لو فسر بأنه القرآن، فإن الله تعالى قد ضمنه كل شيء يحتاج إليه المكلف، فما كان فيه من تفصيل كفى، وما كان فيه من إجمال، فقد وجه القرآن المؤمنين إلى الطريق الذي يجدون فيه تفصيل ذلك المجمل، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يكون القرآن المجيد قد اشتمل كل شيء، وصدق الله العظيم القائل : **" ما فرطنا في الكتاب من شيء "**[41]

الشبهة الثانية :

هذه الشبهة تقوم على أساس ادعائهم أن السنة النبوية ليست وحياً من قبل الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنه اجتهاد وتصرف من النبي - صلى الله عليه وسلم ،بمقتضى بشريته، وهو صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار يصيب ويخطئ، فالسنة ليست وحياً، وبالتالي فهي ليست منزهة عن الخطأ، لأن المنزه عن الخطأ إنما هو الوحي، ولا وحي إلا القرآن المجيد. وإذا كانت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ليست وحياً، فلسنا ملزمين باتباعها، ولا هي مصدر من مصادر التشريع. وهم يذكرون أموراً يزعمون أنها أدلة على أن السنة ليست وحياً، وإنما هي اجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره بشراً .

فمن أدلتهم المزعومة على ذلك، أولاً: مسألة تأبير النخل، حيث أمر النبي -صلى الله عليه وسلم -أصحابه أن يتركوا النخل فلا يؤبِّروه يلقحوه فأطاعوا أمره ففسد النخل، وخسر الناس ثمار نخيلهم.

[37] الحديد ٢٢.
[38] النجم ٣/ ٤.
[39] محمد ٣٣.
[40] الحشر ٧.
[41] الأنعام ٣٨.

ثانياً: مسألة نزول جيش المسلمين في غزوة بدر، حيث أنزله النبي صلى الله عليه وسلم منزلاً ثم ظهر خطأ هذا المنزل، فانتقل الجيش إلى منزل آخر بناء على رأى صحابي من أصحابه رضوان الله عليهم.

ثالثاً: مسألة أسرى بدر، حيث استحياهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقتلهم، وأخذ منهم الفداء، ونزل القرآن مبيناً خطأ ذلك الاجتهاد وإصابة اجتهاد عمر ورأيه في المسألة.

رابعاً: اعتبار الصحابة رضوان الله عليهم، أن السنة ليست وحياً، وإقرارهم بذلك عملياً، وذلك حين خالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، حين ذبح وحلق، بينما رفضوا هم ذلك معتبرين ذلك اجتهاداً من النبي، وليس وحياً، ولو اعتبروه وحياً ما خالفوا.

الرد على هذه الشبهة وتفنيدها :

إن هذه الشبهة التي أوردها هؤلاء سبقهم إليها بعض الطوائف من منكري سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا ما زعموه أدلة لهم على ما ذهبوا إليه، وهذه الشبهة مع ما زعموه أدلة عليها ما كان ينبغي أن تصدر عن مسلم، أو عمن يدعي أنه مسلم، فإن الأمة المسلمة مجمعة سلفاً وخلفاً وإلى أن تقوم الساعة على أن السنة النبوية المطهرة وحي من عند الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وإجماع الأمة المسلمة على ذلك ليس صادراً عن فراغ أو عن هوى، ولكنه الحق الذي لا يعارضه إلا غويٌّ مبين .

والأدلة على أن السنة وحي من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كثيرة ، لكن سنشير إلى أهمها هنا :

أولاً : إخبار الله تعالى ، بذلك في نصوص قاطعة في آيات بينات من القرآن المجيد الذي ينتسب إليه هؤلاء من ذلك قوله عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى "**[42]، ومن ذلك قوله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم : **"ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين "**[43]**.** فهذه الآيات ليس فيها إخبار بأن الرسول لا ينطق إلا بالوحي فقط، بل فيها إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم ، لو افترى على الله تعالى شيئاً لم يوحه الله إليه لقتله الله وقضى عليه وحيث إن الله تعالى لم يأخذ من رسوله باليمين، ولم يقطع منه الوتين، أي لم يقض عليه، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما نطق إلا بما أوحاه الله تعالى إليه .

ثانياً : النصوص القاطعة من كتاب الله المجيد التي يأمر الله عز وجل فيها المؤمنين باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يأخذ وما يدع، وما يأمر وما ينهى، من ذلك قول الله عزوجل **" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"** [44]. وقوله سبحانه وتعالى أيضا **: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم"**[45] **.**

ثالثاً : ترتيب الله تعالى الإيمان على طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه، والتسليم لأمره ونهيه في كل ما يراه ويحكم به، وذلك في قول الله عز وجل **" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً**

42_ النجم ٣/ ٤ .
43_ الحاقة ٤٤//٤٧
44_ الحشر ٧ .
45_محمد ٣٣.

ISSN: 2706-6495

مما قضيت ويسلموا تسليما "[46] ومن ذلك وصف الله تبارك وتعالى المؤمنين بأن شأنهم مع رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، وذلك في قوله سبحانه وتعالى **" إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون "**[47]

رابعاً : إجماع الأئمة كلها على أن السنة وحي من عند الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة صحابته رضي الله عنهم أجمعين، حيث كانوا في حياته الشريفة يحفظون أقواله صلى الله عليه وسلم ، ويتذاكرونها فيما بينهم، وكانوا يتحرون الاقتداء به عليه أفضل الصلاة والسلام، في كل ما يأتي وما يذر فيما ليس بخصوصية له صلى الله عليه وسلم مستجيبين لتوجيه الله تعالى في قوله لأمة الإسلام **" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا "**[48]. وقد كان الذي يعرف الكتابة منهم يكتب لنفسه خاصة. وقد كان ثمة عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكتبون لأنفسهم في حياته الشريفة. ثم بعد حياته صلى الله عليه وسلم كانت المسألة تُعرَضُ للصحابة رضوان الله عليهم فيبحثون في القرآن، فإذا لم يجدوا حكمها، بحثوا في السنة الشريفة وحكموا فيها بما وردت به السنة، وكان سائلهم يسأل أصحابه وإخوانه قائلاً: أنشدكم الله هل سمع أحدكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم -شيئاً في المسألة؟ فإذا جاءهم حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان أصحابه أو بعضهم سارعوا إلى تطبيقه والأخذ به .

هذه تذكرة بالأدلة القاطعة على أن السنة وحي من عند الله تعالى وسنتحدث لاحقا عن حجية السنة والتفصيل قادم إن شاء الله. أما ما أثاروه من مغالطات مدعين أنها أدلة على أن السنة النبوية المطهرة ليست وحياً فهو كلام ظاهر البطلان ونحن نرد عليه رغم وضوح بطلانه إبطالاً لمزاعمهم .

١- وأول مزاعمهم الباطلة مسألة تأبير النخل، وهي مسألة ترجع إلى التجربة والخبرة ولا علاقة لها بالوحي من قريب أو من بعيد. ومن المعلوم أن الأمور التي تقوم عليها معايش الناس وحياتهم العادية لا صلة لها بالوحي إلا فيما يتصل بها من حل وحرمة وإباحة. أما كيفية مزاولتها والقيام بها، فذلك متروك للخبرة والتجربة يزاولونها حسب ما ألفوا وتعودوا. ورسول الله -صلى الله عليه وسلم -لم تكن له سابقة خبرة بتأبير النخل، ولما رآهم يفعلون ذلك قال لهم " لو تركتموه لصلح " إما على هيئة الاستفهام، وإما على الاقتراح المبني على عدم التجربة. ولم يكن لذلك من صلة بالتشريع لا أمراً ولا نهياً ولذلك لما تركوا تأبير النخل ولم يصلح، وحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، قال لهم **: "أنتم أعلم بأمور دنياكم " .**

٢- وأما ما أثاروه من منزل جيش المسلمين في غزوة بدر ، فقد كان ذلك بناء على رأي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك عن وحي، وهذا بيِّن واضح، فإنه لما سأله أحد أصحابه رضي الله عنهم قائلاً: **(أهذا منزل أنزلكه الله يا رسول الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (بل هو الرأي والحرب والمكيدة)**، ولما أشار عليه صاحبه بمنزل أفضل انتقل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكون ذلك ليس عن وحي واضح. فلا يصح الاستشهاد به في مجال نفي الوحي فيما هو وحي .

٣- وأما مسألة الأسرى في بدر، فهي قد جمعت بين الرأي والوحي فقد كان الرأي أولاً، ثم أعقبه الوحي بعد ذلك وقضية

46_ النساء ٦٥.
47_ النور ٥١ .
48_ الأحزاب ٢١.

ISSN: 2706-6495

الأسرى ببدر توضح لنا أمراً هاماً قد لا يتوفـر في كثـير غيرها من قضايا التشريع، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ في أسرى بدر بالرأي، فاستشار أصحابه رضوان الله عليهم، فكل أدلى برأيه، ثم مال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرأي القائل باستحيائهم وأخذ الفداء منهم، وكان هذا رأي أبي بكر رضي الله عنه وكان رأي عمررضي الله عنه أن يقتل الأسرى جميعا ، وبعد أن استقر الأمر على ذلك نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم يبين ما كان ينبغي أن يفعل في مسألة الأسرى، ويبين الصواب في القضية، فقال الله سبحانه في شأن فعل الرسول في أسرى بدر **" ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرةوالله عزيز حكيم* لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم* فكلوا مما غنمتم حـلالاً طيباً واتقوا الله. إن الله غفور رحيم "[49].**

فقضية الأسرى بدأت بالرأي، ثم انتهت بالوحي، وهذه القضية بجملتها شاهدة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول ولا يفعلفيما يتصل بالدين إلا بوحي من عند الله عز وجل وأن الله سبحانه وتعالى لا يدع رسوله صلى الله عليه وسلم على غير صواب، حتى في حالة تصرفه برأيه واجتهاده وذلكم هو الأمر الهام الذي نَوَّهنا به قبلا، وخلاصته أن قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله في أمور الدين وحي، حتى ولو قال برأيه، لأنه إن قال أو فعل برأيه وكان صواباً موافقا لأمر الله أقره الله تعالى على ذلك. وكان إقرار الله سبحانه وتعالى له دليلاً على موافقة عمله لمراده عز وجل فيكون وحياً، وإن كان اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم ليس صواباً موافقاً لمراد الله سبحانه، فإن الله عز وجل لا يقره على ما قال أو فعل اجتهاداً، بل يصوب له ويصحح، وذلك كما حدث في أسرى بدر، حيث نزل فيها القرآن مصوباً؛ وكما حدث في أوائل سورة " عبس " حيث نزل القرآن معاتباً.

وهكذا يتضح أن واقعة أسرى بدر شاهدة بأن السنة وحي من عند الله تعالى ، وأن الله سبحانه وتعالى يحيط أقوال وأفعال رسوله بالوحي حتى ولو اجتهد برأيه .

وفيصل الأمر في القضايا الثلاث التي أثاروها شبهة من شبهاتهم ظانين أنها دليل على أن السنة النبوية ليست وحياً ؛ أن ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم **نوعان :** نوع يفعله بمقتضى بشريته صلى الله عليه وسلم ، دون أن يوحى إليه فيه بشيء، وهذا النوع لا صلة له بالتشريع، وذلك في جل شؤونه المعيشية التي لا يتعلق شيء منها بالدين حلاً أو حرمة ومن ذلك رأيه في تأبير النخل.

ونوع آخر يفعله صلى الله عليه وسلم بمقتضى كونه بشرا رسولاً، وفعله هذا

إنما يقوم على وحي من قبل الله تعالى.

والأمران الأولان: تأبير النخل، ومنزل الجيش في بدر، من النوع الأول الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه. والأمر الثالث اجتهد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم رأيه وآراء محل مشورته من الصحابة رضوان الله عليهم، فنزل الوحي مصوباً ومبيناً الحكم الصحيح .

49_ الأنفال ٦٩/ ٦٧.

الشبهة الثالثة :

خلاصة هذه الشبهة قولهم: إن السنة لم تكن شرعاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ،أن تكون سنته مصدراً تشريعياً للدين، وما قال شيئاً أو فعله بقصد التشريع، ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أن يكون ثمة مصدر تشريعي سوى القرآن المجيد، بل كان مصدر التشريع عند النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن وحده، وكذلك فهم الصحابة رضوان الله عليهم ، وجاء عهد التابعين الذين بدأت فيه فتنة القول بالسنة، وأنها مصدر من مصادر التشريع، وكانت تلك قاصمة الظهر بالنسبة للدين، حيث دخل فيه ما ليس منه، واختلط بالوحي الصحيح الخالص الذي هو القرآن، ما ليس من الوحي بل هو كلام البشر، نعني بذلك سنة النبي .

وهم يزعمون أن لهم أدلة على ذلك. منها :

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بكتابة القرآن الكريم، وحضهم على ذلك، ونهى أصحابه عن كتابة شيء من السنة قولاً كانت أو فعلا، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم **:" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه "[50]**

٢- أن الصحابة رضوان عليهم عرفوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة ليست شرعاً فأهملوا كتابتها وحفظها، رغم اهتمامهم الشديد بكتابة القرآن المجيد على كل ما يصلح أن يُكْتب عليه .

٣- أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم الخلفاء الراشدون كانوا يكرهون رواية الأحاديث، ويحذرون منها، وكان عمر رضي الله عنه يهدد رواة الحديث ويتوعدهم، وقد حبس عمر بن الخطاب عدداً من الصحابة بسبب روايتهم للحديث تنفيذاً لوعيده وتهديده إياهم بعدم رواية الحديث .

الرد على الشبهة وتفنيدها :

هذه شبهتهم، وتلك أدلتهم عليها، والشبهة ساقطة، وأدلتها أشد منها سقوطا وافتراء. فالأمة المسلمة مجمعة سلفاً وخلفاً وحتى قيام الساعة - بحول الله تعالى على أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد أقمنا الأدلة وافية بفضل الله على أن السنة وحي من الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم، وكون السنة وحيا من عند الله تعالى قاطع وكاف بذاته على أنها شرع الله تعالى إلى الناس، فهي المصدر الثاني للتشريع بلا ريب ولكنا نزيد الأمر وضوحاً، ونرد على ما زعموه أدلة على شبهتهم تلك.

١- أما قولهم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كتابة الحديث، بينما حضَّ على كتابة القرآن وحفظه، وكان له صلى الله عليه وسلم كتبة القرآن، فقول مبالغ فيه، ويقوم على التدليس وذكر بعض الحق وإخفاء البعض وليس من شك في أن القرآن المجيد قد لقي من العناية بكتابته وحفظه ما لم يكن للسنة النبوية. فهو مصدر الدين الأول، وهو أعلى من السنة منزلة وقداسة، وهو أحق بالعناية والاهتمام بكتابته وحفظه، لذلك حظي القرآن من العناية بما لم تحظ به السنة وبخاصة تدوينها وكتابتها والأسباب التي جعلت الصحابة يهتمون بكتابة القرآن فوق اهتمامهم بكتابة السنة كثيرة.

50_ رواه البخاري ومسلم.

ISSN: 2706-6495

منها: أن القرآن الكريم محدود بحدود ما ينزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم فكتابته والإحاطة به أيسر، وهم على ذلك أقدر، أما السنة النبوية من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله فكثيرة ومتشعبة تتضمن أقواله عليه السلام وأفعاله اليومية، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة عاشها صلى الله عليه وسلم بينهم، وهذا أمر يشق كتابته وتدوينه، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار ندرة أو قلة الكاتبين بين الصحابة رضوان الله عليهم.

ومنها : أن كتابة القرآن ضرورة يفرضها ويحتمها كون القرآن العظيم وحي الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، ولا تجوز روايته بالمعنى، أما السنة فتجوز روايتها بالمعنى، ويجوز في السنة أن يقول القائل : " أو كما قال " وما هو من قبيلها، وليس ذلك جائزاً في القرآن ومنها : أن الكاتبين بين الصحابة رضوان الله عليهم كانوا قلة وليس في مقدورهم أن يكتبوا السنة والقرآن معاً، وإذا كان ثمة إختيار بين أيهما يكتب الصحابة العارفون الكتابة، فليكن المكتوب هو القرآن، وذلك حتى يسلموه لمن بعدهم محرراً مضبوطاً تاماً لم يزد فيه ولم ينقص منه حرف .

وأما احتجاجهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة غير القرآن، وغير القرآن هو السنة، فهو احتجاج باطل من وجوه.

أولها: أن هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم -: **" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ".**[٥١] هذا الحديث معلول "أعله أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري وغيره بالوقف على أبي سعيد **".** ولو صرفنا نظراً عن هذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نهى عن الكتابة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم الإذن بها، بل الأمر بها في أحاديث أخر، ولذلك قلنا إن استدلالهم فيه تدليس، حيث ذكروا حديث النهي، ولم يشيروا إلى أحاديث الإذن وهي كثيرة. منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم الفتح فقال" **إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل الشك من البخاري وسلط عليهم رسول الله والمؤمنون."** ولما انتهى من خطبته جاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اكتبوا لأبي شاة)** ومنها : ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب "ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن بعض الصحابة حدثه فقال : إنك تكتب عن رسول الله كل ما يقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يغضب فيقول ما لا يكون شرعاً، فرجع عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قيل له، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: **"اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج من فمي إلا الحق"**[٥٢] وهذه الروايات في الصحيح، وهناك غيرها ضعيف وهي كثيرة. فإذا ما وازنا بين روايات المنع وروايات الإذن، "وجدنا أبا بكر الخطيب رحمه الله، قد جمع روايات المنع فلم يصح منها إلا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق ذكره، وقد بينا أن الإمام أبا عبد الله البخاري قد أعله بالوقف على أبي سعيد، وكذلك فعل غيره بينما أحاديث الإذن كثيرة. والصحيح منها كثير، روينا بعضه، ومنها :إضافة إلى ما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته: **"ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده "**[٥٣]

51_ رواه البخاري ومسلم .
52_ رواه ابوداود وصححه الألباني.
53_ أورده البخاري في كتاب العلم.

ISSN: 2706-6495

وقد اجتهد العلماء في الجمع بين أحاديث الإذن وأحاديث المنع، فنتج عن ذلك آراء أهمها :

أ -أن ذلك من منسوخ السنة بالسنة، أي أن المنع جاء أولاً، ثم نسخ بالإذن في الكتابة بعد ذلك. وإلى ذلك ذهب جمهرة العلماء، ومنهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وقد قالوا إن النهي جاء أولاً خشية التباس القرآن بالسنة، فلما أمن الالتباس جاء الإذن .

ب- أن النهي لم يكن مطلقاً، بل كان عن كتابة الحديث والقرآن في صحيفة واحدة أما في صحيفتين فمأذون به .

ج- أن الإذن جاء لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون لأنفسهم، ويؤمن عليهم الخلط بين القرآن والسنة .

وهناك آراء غير ذلك، لكن الذي يتضح من روايات المنع وروايات الإذن أن الإذن جاء آخراً، فإن كان نسخ فهو الناسخ للمنع. وهذا الذي رواه الجمهور

وبهذا يسقط استدلالهم بحديث المنع الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، هذا الحديث الذي يعدونه حجر الزاوية في احتجاجهم بعدم تشريعية أو حجية السنة، ويكثرون اللجاج به كتابة ومناظرة.

٢- أما قولهم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد فهموا من النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة ليست شرعاً فانصرفوا عنها، ولم يهتموا بكتابتها أو الالتزام بها فهذا من الكذب والمكابرة، والمطلع على المدونات في كتب السنة، وتاريخ العلوم وما كتب العلماء في مواقف الأمة المسلمة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة موقف الصحابة رضوان الله عليهم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع بكذب هؤلاء ويعجب من مدى تبجحهم وافترائهم على الحق إلى حد قلب الأوضاع وعكس الأمور. فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على ملاحظة أقواله وأفعاله وحفظها، والعمل بها، بل بلغ من حرصهم على تتبع كل صغيرة وكبيرة وحفظها ووعيها والعمل بها أن كانوا يتناوبون ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحدث عنه البخاري بسنده المتصل إليه. يقول: " كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد من عوالي المدينة

وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نـزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك" وما كان ذلك إلا لحرصهم الشديد على معرفة سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -واتباعها والالتزام بها .وقد كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم الله في بعض ما يعرض لهم، عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه **"أن امرأة أخبرته أنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. فلما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم سأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع، ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "كيف وقد قيل؟ ففارق زوجه لوقته وتزوجت بغيره "[٥٤].**

وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على أن يسألوا أزواج النبي رضوان الله عليهن ،عن سيرته وسنته في بيته، وكانت النساء يذهبن إلى بيوت أزواج النبي يسألنهن عما يعرض لهن، وهذا معروف مشتهر غني عن ذكر شاهد أو مثال .

بل لقد بلغ من حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الالتزام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، أنهم كانوا يلتزمون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعرفوا لذلك حكمة، ودون أن يسألوا عن ذلك، ثقة منهم بأن فعله صلى الله عليه وسلم وحي. فقد روي

[54]_ رواه البخاري .

ISSN: 2706-6495

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : **" اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم نبذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (إني لن ألبسه أبداً) فنبذ الناس خواتيمهم "**[55]

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: **" بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم، فلما قضى صلاته قال) : ما حملكم على إلقاء نعالكم) ؟ قالوا : يا رسول الله رأيناك ألقيت نعليك، فقال) : إن جبريل أخبرني أن فيهمـا قذرا"**[56]

عن ابن مسعود - رضي الله عنه **" أنه جاء يوم الجمعة والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب، فسمعه يقول : (اجلسوا) فجلس بباب المسجد - أي حيث سمع النبي يقول ذلك - فرآه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : تعال يا عبد الله بن مسعود.**[57]

إلى هذا الحد بلغ حرص الصحابة رضوان الله عليهم، على معرفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، والالتزام بها، والاستجابة لأمره ونهيه من فورهم كما فعل عبد الله بن مسعود، ومن غير أن يدركوا حكمة الفعل كما في إلقائهم نعالهم في الصلاة، ونبذهم خواتيم الذهب ، ولم يكن ذلك إلا استجابة لله تعالى في أمره بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء به كما في قوله عز وجل **" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا "**[58].ثم استجابة لرسوله صلى الله عليه وسلم في أمره الأمة باتباع سنته والالتزام بها.

كما في قوله صلى الله عليه وسلم " خذوا عني مناسككم " وقوله عليه الصلاة والسلام **"صلوا كما رأيتموني أصلي"** وقوله صلى الله عليه وسلم **" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"** وقوله صلى الله عليه وسلم **" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "**[59]

هذا قليل من كثير مما يبين موقف الصحابة رضوان الله عليهم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موقف يتسم بالحرص الشديد والاهتمام البالغ على معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها والالتزام بها، بل وتبليغها إلى من يسمعها استجابة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **:" نضر الله امرأ سمع مقالتي ووعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلَّغ أوعى من سامع "**

ومن هذا يتبين مدى كذب أعداء السنة وأعداء الله ورسوله في ادعائهم الذي سلف ذكره .

٣- وأما دعواهم بأن كبار الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكرهون رواية الحديث، وكان عمررضي الله عنه يتهدد رواة السنة، وأنه نفذ وعيده فحبس ثلاثة من الصحابة بسبب إكثارهم من رواية السنة ؛ فهذا كذب يضاف إلى ما سبق من دعاواهم الكاذبة، وفيه جانب من التدليس الذي لا يخلو عنه كلامهم .

55_ رواه البخاري .
56_ رواه القاضي عياض " الشفا"
57_ أورده بن عبد البر جامع بيان العلم وفضله .
58_ الأحزاب ٢١.
59_ رواه البخاري ومسلم ز

ISSN: 2706-6495

أما أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكرهون رواية الحديث، فهذا باطل، والحق أنهم كانوا يخشون روايتها ويهابون من ذلك، لعظم المسؤولية، ووعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من يكذب عليه، في قوله صلى الله عليه " ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بين أمرين هم حريصون على كل منهما

أولهما: تبليغ دين الله إلى من يليهم من الأمة،

ثانيهما: التثبت والتحري الشديد لكل ما يبلغونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك كان الواحد منهم يمتقع وجهه، وتأخذه الرهبة وهو يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالصواب إذن -أن الصحابة كانوا يهابون رواية الحديث بسبب شدة خوفهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الخطأ فيما يروون. وليس كما يزعم هؤلاء، أن ذلك لأنهم كانوا يرون السنة غير شرعية، أو أنها ليست مصدراً تشريعياً .

أما دعوى حبس عمررضي الله عنه ثلاثة من أصحابه هم : عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وأبو الدرداء رضي الله عنهم فهذه رواية ملفقة كاذبة، جرت على الألسنة، وقد ذكرها البعض كما تجري على الألسنة وتدون في كتب الموضوعات من الأحاديث والوقائع، فليس كل ما تجري به الألسنة أو تتضمنه بعض الكتب صحيحاً، وقد تولى تمحيص هذه الدعوى الكاذبة الإمام " ابن حزم "رحمه الله في كتابه : “ الإحكام “ فقال : "وروي عن عمر أنه حبس ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا ذر من أجل الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وبعد أن طعن ابن حزم في الرواية بالانقطاع محصها شرعاً فقال : “ إن الخبر في نفسه ظاهر الكذب والتوليد، لأنه لا يخلو : إما أن يكون عمر اتهم الصحابة، وفي هذا ما فيه أو يكون نهى عن نفس الحديث وتبليغ السنة وألزمهم كتمانها وعدم تبليغها، وهذا خروج عن الإسلام، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك، وهذا قول لا يقول به مسلم، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين فلقد ظلمهم، فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات أي الطريقين الخبيثين شاء .

هكذا يتضح كذب ادعائهم وفساد ما بنوه على هذا الادعاء .

الشبهة الرابعة :

خلاصة شبهتهم هذه ؛ أن الإسلام جاء يدعو إلى أمة واحدة تحت راية كتاب الله القرآن يقــول الله تعالى **" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "** [٦٠] وقد جاهد النبي صلى الله عليه وسلم طوال حياته الشريفة لتحقيق هذه الغاية، حتى نجح في ذلك بفضل اعتماده القرآن وحده، وترك الأمة على ذلك وقد ظلت الأمة واحدة طالما كانت تحت راية القرآن وحده. حتى جاءت المؤامرة التي قام بها مدونو كتب السنة. حيث تسببوا بتدوين السنة، والدعوة إليها، وشغل الناس بها إلى تفريق الأمة، وقد جاء الفقهاء فبنوا على السنة، فازدادت الأمة افتراقاً، ولو أن الأمة تركت السنة وعادت إلى القرآن وحده لخرجت من فرقتها، وعادت إليها وحدتها وعزتها وأخذت مكانتها بين الأمم المتقدمة .

ولأن السنة هي سبب تفرق الأمة وتصدع وحدتها ؛ فلم يقم بها، ولم يشتهر بالتدوين فيها عربي واحد، بل كان جميع المشتغلين بالسنة من أهل فارس، وبخاصة الكتب الستة، فإن الذين دونوها وشغلوا الناس بها من الفرس الحاقدين على الإسلام، وقد

[60] _ الأنبياء ٩٢.

وضعوا كتبهم للكيد للإسلام وتصديع وحدة الأمة المسلمة، فتدوين كتب السنة إذن كان مؤامرة فارسية سقطت في أتونها الأمة المسلمة، يقول " عبد الله جكرالوي " لا ترتفع الفرقة والتشتت عن المسلمين، ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم فكر واحد، ما داموا مستمسكين بروايات زيد وعمرو ويقول " حشمت علي " : " لن تتحقق وحدة المسلمين ما لم يتركوا كتبهم الموضوعة في طاعة رسول الله "ويقول " برويز " : " قد فاق تقديس هذه الكتب كتب السنة كل التصورات البشرية، مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية، استهدفت النيل من الإسلام وأهله، ثم يفسر تلك المؤامرة ويبين القائمين بها فيقول " فما أصحاب الصحاح الستة إلا جزء من تلك المؤامرة، لذا نجدهم جميعاً إيرانيين، لا وجود لساكن الجزيرة بينهم .

الرد على الشبهة وتفنيدها :

إن هذه الشبهة تذكرنا بالمثل : **" رمتني بدائها وانسلت ".** أو ما يقول علماء النفس عن داء " الإسقاط " وهو داء نفسي يبتلى به بعض الناس المصابين بنقائص معينة، فحتى يبرئ نفسه منها يسارع فيسقطها على الآخرين ويتهمهم بها. فهؤلاء أعداء السنة، وأعداء الدين، وأعداء أمة المسلمين، هم الذين خرجوا على إجماع الأمة،

ومن قبل ذلك خرجوا على القرآن المجيد كتاب الله الذين ينسبون أنفسهم إليه ظلماً وزورا، وخرجوا على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، وأعداء القرآن والسنة، فهؤلاء هم الذين صدعوا وحدة الإسلام والأمة، وفرقوا كلمتها، وخرجوا على جماعتها. هؤلاء يأتون فيرمون أهل السنة، أهل الإسلام، جماعة المسلمين بأنهم هم الذين فرقوا الأمة. وهؤلاء الذين خرجوا على جماعة المسلمين برفضهم السنة النبوية، يرمون الأمة المسلمة بأنها خرجت عليهم وفرقت المسلمين بتمسكهم بالسنة النبوية المطهرة فهل يوجد ثمة تبجح وادعاء، ومكابرة، وقلب للأوضاع، ورمي للأبرياء بما فيهم من أدواء، كمثل هذا الذي فعله منكرو السنة في شبهتهم هذه؟ **"سبحانك هذا بهتان عظيم "** [61].

ثم إن هؤلاء الذين يتهمون المسلمين المتمسكين بالسنة النبوية بأنهم تفرقوا بسبب استمساكهم بالسنة، وعدم اقتصارهم على القرآن وحده، وقد زعموا أنهم مقتصرون على القرآن وحده طلباً لوحدة الأمة ؛ نقول : هل أفلح هؤلاء في أن يكونوا فريقا واحدا ؟ إنهم بعد أن تركوا السنة طلبا للوحدة كما يزعمون زوراً تحولوا فيما بينهم إلى طوائف وفرق، وكل فرقة تحاول أن تنتشر على حساب الأخرى، وتستقطب أتباع الأخرى، لِمَ لم يتوحدوا هم في فرقة واحدة إذا كان مطلبهم الوحدة ؟

إننا حين سمعنا بهم ونحن بإسلام أباد بباكستان، كنا نظنهم فرقة واحدة، وظل ذلك ظننا لدينا حتى اجتمعنا ببعضهم " بكراتشي " وبعد أن انفض الاجتماع وكنا نستعد للسفر إلى مدينة " هاري بور " للقاء " بير عبد الدايم " زعيم " البريلويين " هناك للنظر في عقائد هؤلاء الناس، فوجئنا بمضيفنا يقول : هناك طائفة أخرى يمكن أن تجتمعوا ببعض رؤسائها إذا انتظرتم إلى الغد فعرفنا أنهم طوائف. ثم إنهم ينعون على الأمة المسلمة المذاهب الفقهية، ويسمون ذلك تفرقاً وتشتتاً، فهل أفلحوا هم في أن يكونوا مذهباً واحداً في الفقه؟ " لنأخذ الصلاة مثالاً للواقع الملموس بينهم، فمن قائل بأدائها خمساً، وآخر أربعاً وثالث ثلاثا والرابع مرتين في اليوم والليلة، وكل صاحب رأي من هذه الآراء يزعم أنها صلاة القرآن، وأما اختلافهم في جزئياتها من حيث عدد الركعات والهيئة فحدث عنه ولا حرج "

أما الزعم بأن كل الذين دونوا السنة وجمعوها وميزوها من الأعاجم المتآمرين على أمة الإسلام فذلك كذب صراح وافتراء

[61]_ النور ١٦ .

ISSN: 2706-6495

بواح في شقيه ؛ في الزعم بأن مدوني السنة جميعهم عجم، وفي الزعم بأن التدوين كان مؤامرة .

أما الشق الأول فيكذبه الواقع، فإن أول من دون السنة وجمعها كانوا عربا صرحاء، فقد بدأ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة - رحمه الله - وذلك في موطَّئه. وجاء بعده الحميدي القرشي في مسنده، وجاء بقية السلف الصالح في عصره الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وهكذا تتابع التدوين، وهؤلاء الأوائل جميعهم عرب صرحاء. أما عن الكتب الستة؛ فدعواهم أن واضعيها من العجم كذب وافتراء. فالإمام مسلم والإمام الترمذي والإمام أبو داود جميعهم من العرب، فكيف يقال إنهم من العجم؟ وإنهم صنعوا بذلك مؤامرة على المسلمين؟

إن هؤلاء يقلبون الأوضاع، ويعكسون الأمور، ويرمون الأبرياء بما هم فيه من بلاء، فمن هم الذين يتآمرون على الإسلام والمسلمين ؟ ومن هم الذين فارقوا الجماعة، وفرقوا الأمة؟ هل هؤلاء هم البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه؟ هؤلاء الأئمة الأعلام الذين حفظ الله بهم دينه، وذلك بحفظهم وحفاظهم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إن هؤلاء هم الذين .حفظ الله بهم دينه، وعصم الله تعالى بهم الأمة عن التفرق والشتات، إن المرء ليعجب كيف يصل التبجج والافتراء إلى مستوى يتهم فيه عاقل - حتى ولو لم يكن مسلماً إماماً كالبخاري أو مسلم بأنه فرق الأمة وتآمر على الإسلام.

إن الواقع الملموس يبين أن هؤلاء الكافرين بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخارجين عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هم المتآمرون على الإسلام، المفرقون أمة المسلمين، المارقون من الدين، الشاذُّون عن الجماعة .

الشبهة الخامسة :

وهذه الشبهة ليست من إنشائهم، بل قال بها بعض منكري السنة السابقين، وبخاصة هؤلاء الذين اتخذوا من الاعتزال ستاراً يخفون وراءه زندقتهم، ثم يهاجمون الإسلام، من أمثال النظام وبشر المريسي وغيرهم .

وهذه الشبهة تقوم عندهم على الزعم بأن الاحتكام إلى السنة والالتزام بها مؤدّ إلى الشرك والكفر. فإن الاسلام يقوم على أن الحاكم هو الله وحده، وأن الحكم له وحده سبحانه وتعالى يقول تعالى **" إن الحكم إلا لله "**[62] و. ويقول عز وجل **" ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين "**[63] وإذا كان الإسلام يقوم على أن الحكم لا يكون إلا لله سبحانه، فإن الاحتكام إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه إشراك الرسول صلى الله عليه وسلم في الحكم مع الله سبحانه وذلك كفر وشرك. ولا خروج من ذلك الشرك والكفر إلا بالاحتكام إلى كتاب الله القرآن وحده، ونبذ السنة وعدم اعتبارها .

الرد على الشبهة وتفنيدها :

هذه الشبهة تقوم على أمرين فرغنا من الحديث عنهما **:**

الأمر الأول : أن السنة ليست وحياً من عند الله تعالى وبالتالي فليست شرعاً يحتكم الناس إليه .

الأمر الثاني : أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من طاعة الله سبحانه بل بين طاعة الرسول وطاعة الله تعارض وتضارب، بحيث تكون طاعة الرسول نقضاً لطاعة الله سبحانه وتعالى وبذلك يتحقق كونها عندهم شركا بالله .

وهذان الأمران قد سبق أن أوفينا الكلام فيهما. حيث أثبتنا أن السنة النبوية وحي من عند الله سبحانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بوحي الله تعالى، ويكفي هنا أن نذكر بقول الله -عز وجل في حق رسوله

62_ الأنعام ٥٧.
63_ الأنعام ٦٢ .

ISSN: 2706-6495


صلى الله عليه وسلم **" وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحي يوحى "**[٦٤]. وكذلك قد بينا أن السنة شرع الله عز وجل كما أن القرآن شرع الله عز وجل وقد بينا آنفاً أن السنة بمنزلة القرآن من حيث حجية التشريع ومصدريته، ويكفي كذلك أن نذكر هنا بقول الله عز وجل مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم **" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما "**[٦٥]، ويقول الله سبحانه وتعالى **" إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون "**[٦٦]

فهذه الآيات نصوص قرآنية قاطعة في أن السنة النبوية وحي من عند الله تعالى، وأن كل ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أو يفعل فيما يتصل بأمور الدين إنما هو الحق من عند الله، وكذلك تدل الآيات على وجوب الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والرضا بما يحكم به، والتسليم والإذعان لذلك. وأن من لم يحتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرض بحكمه هو خارج عن الإيمان، وليس له حظ من الإسلام .

أما كون طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على المسلم، وأنها من طاعة الله تعالى ،فقد أوفينا الكلام عنها كذلك. ويكفي أن نذكر بقول الله عز وجل **" من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا"** [٦٧]الن

فهذه آيات قاطعات في أن الاحتكام إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم -وطاعته إنما هو احتكام إلى الله تعالى -وطاعة له -سبحانه -وقد قال الله -تعالى -**:"من يطع الرسول فقد أطاع الله ".** وهؤلاء يقلبون الآية القرآنية فيزعمون أنه **" من يطع الرسول فقد أشرك بالله " عياذاً بالله، وليس بعد هذا الضلال ضلال .**

الشبهة السادسة :

وتتمثل هذه الشبهة في زعمهم ؛ أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال ليس لها صفة العموم الزماني والمكاني، إذ هي أحكام أصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم في زمانه وفقاً لظروف أصحابه الذين كانوا معه، وظروف أصحابه كانت مرتبطة بهم وبزمانهم ومكانهم وأحوالهم الخاصة بهم. وقد انقضى ذلك الزمان بأشخاصه وظروفهم وأحوالهم، وقد تغير الزمان، وتغيرت الظروف، ومن ثم لم تعد تلك الأقوال والأفعال الخاصة بذلكم الزمان، صالحة لزماننا ولا لظروفنا، ويترتب على ذلك أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت واجبة على أصحابه في زمانه، لم تعد واجبة علينا، ولا سنته التي كانت ملزمة لهم ملزمة لنا .

الرد على الشبهة وتفنيدها :

إن القول بهذه الشبهة مبني على الزعم بأن السنة ليست وحياً، وليست شرعاً، وقد سبق أن رددنا على ذلك. لكن هذه الشبهة تثير قضية أخرى زيادة على ما تقدم. وهي قضية الأحكام الشرعية التي وردت في أسباب خاصة، وهذه في القرآن المجيد يُعَنْون لها بـ " أسباب النزول ". وقد ورد جانب كبير من الأحكام الواردة في القرآن الكريم على هذا النحو، أي نزل في أسباب خاصة كما

---

64 النجم ٣/ ٤ .
65 النساء ٦٥.
66 النور٥١ .
67 النساء ٨٠.

ISSN: 2706-6495

في أحكام الظهار في أول سورة المجادلة. لكن العلماء لم يذهبوا إلى القول بأن هذه أحكام خاصة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وبزمانهم ولم تعد صالحة لزماننا، بل وضعوا القاعدة الأصولية المشهورة والتي يعرفها عامة المسلمين،

والتي تقول " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ". ومقتضى هذا أن الحكم ينزل في واقعة معينة، ثم يطبق على كل ما يماثلها وحتى آخر الزمان .

ومثل هذا الذي قيل في أحكام القرآن المجيد، قاله العلماء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يفرقوا بين القرآن والسنة في ذلك لكونهما وحي الله تعالى إلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم، فالقرآن وحي الله، والسنة وحي الله. وقد سبق أن بينا ذلك بإفاضة .

والقول باقتصار السنة على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم مؤدٍّ بالضرورة إلى القول بمثل هذا في القرآن المجيد، لأن ثمة تلازما بين القرآن والسنة من حيث التشريع والحجية، ومن حيث إنهما خطاب للخلق من الجن والإنس في كل زمان ومكان. وإلا فماذا نقول في الآيات القرآنية التي وردت تأمر الأمة المسلمة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى **" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون "**[68]

هذا الأمر إما أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان، وصلاحيته هذه قائمة إلى قيام الناس لرب العالمين، فتكون السنة المأمور بطاعة الرسول فيها قائمة ومستمرة، ويكون كلامهم باطلاً، أما إذا كانت السنة ـ كما يزعمون غير صالحة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم، فيكون الأمر باتباعها وطاعة صاحبها كذلك غير صالح بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويؤول الأمر إلى أن يقولوا في القرآن بمثل ما قالوا في السنة، فتكون جميع الآيات الآمرة بطاعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على كثرتها، وتنوع صيغها، وكذلك الآيات التي تحض على الاحتكام إليه، وجعل ذلك علامة الإيمان، وكذلك الآيات التي تجعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة وأسوة، كل ذلك يكون مفرغ المعنى، وقد مضى عهد صلاحيته بانتهاء عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وهذا ما لا يقول به عاقل. ولا يقولون هم به، ليس لأنهم عقلاء فاهمون، بل لأنهم ينسبون أنفسهم إلى القرآن، ويصفون القرآن بأنه -وحده -صالح لكل زمان ومكان. ولا يدرون أن مِعْوَلَهم الذي شهروه لهدم السنة هو في ذاته مُشْهر لهدم القرآن الذي ينتسبون إليه ظلماً وزورا، لكن الله تعالى حافظ دينه بحفظ كتابه وسنة رسوله، ولو كره الكافرون .

الشبهة السابعة :

تقوم شبهتهم هذه على أن الله سبحانه و تعالى قد تكفل بحفظ كتابه القرآن. وذلك في قوله عز وجل **" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "**[69]. لذلك ظل القرآن هو الحق الوحيد في دين الله الإسلام، فلم يحرف ولم يبدل، ولم تدخله كلمة ولا خرجت منه كلمة، ولم يرو بغير لفظه ومعناه، أما السنة فلم يتكفل الله سبحانه بحفظها، ولذلك داخلتها الموضوعات المحضة من جانب **أي** التي لم يقلها الرسول صلى الله عليه وسلم لا بلفظها ولا بمعناها ومن جانب آخر ضاعت ألفاظها ورويت بالمعنى، وذلك فيما لو صح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها. فكان ضياع ألفاظها سببا في عدم معرفة المعنى الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم ،حتى ليصح أن يقال إن السنة كلها أضحت موضوعة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ما كان منها موضوعاً

[68] ـ النور ٥٦.
[69] ـ الحجر ٩ .

بلفظه ومعناه، وما كان منها موضوع المعنى بسبب ضياع ألفاظه وروايتهم إياه بالمعنى، يقول " اعلم أن الله تعالى لم يتكفل بحفظ شيء سوى القرآن، ولذا لم يجمع الله الأحاديث، ولا أمر بجمعها، ولم يتكفل بحفظها "ويقول **" عبد الله جكرالوي "** " بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بمئات السنين نحت بعض الناس هذه الهزليات من عند أنفسهم ونسبوها إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو منها بريء ويقول **" مقبول أحمد "** : تنقيح الأحاديث من البحر الهائج المكذوب كتطهير الطعام المسموم، غير أن الحذر والحيطة يقتضيان عدم الأكل من ذلك الطعام

ويقولون أيضاً : إن كفالة الله تعالى بحفظ كتابه القرآن، مع عدم كفالته بحفظ السنة دليل واضح على أن الدين ليس بحاجة إلى السنة .وأنها ليست من الدين، ولا هي ضرورية له، إذ لو كانت من الدين وضرورية له لحفظها الله كما حفظ القرآن.

الرد على الشبهة وتفنيدها :

إن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم بلفظه ومعناه، فالقرآن كلام الله عزوجل لذا كان جديراً بأن يحفظه سبحانه ويصونه أن يحرف أو يبدل، ولأن القرآن كذلك لم تجز روايته بالمعنى .

أما السنة فهي وحي الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أوحى تعالى ، بما فيها من أحكام وتشريعات إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم صاغها النبي بكلامه. ولأن السنة ليست كلام الله تعالى فقد أجاز العلماء روايتها بالمعنى،

ولم يطلق العلماء هذا الحكم بلا ضوابط أو حدود، بل وضعوا لراوي الحديث بالمعنى ضوابط وشروطاً بحيث لا تجوز روايته الحديث بالمعنى إلا إذا توفرت فيه هذه الضوابط والشروط .

ورأس هذه الشروط أن يكون عارفاً بالعربية، عالماً بألفاظها، ومدلولات تلك الألفاظ، بصيراً بعلاقات الألفاظ بعضها ببعض من ترادف واشتراك وتباين وغير ذلك. فإن كان الراوي على هذا العلم جاز له رواية الحديث بالمعنى، لأن في معرفته بالأمور التي ذكرناها أماناً من الخطأ في معاني الأحاديث التي يرويها. وإن لم تتوفر له هذه الشرائط فلا تجوز له الرواية بالمعنى .

أما الزعم بأن الله تعالى لم يحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإن كان المراد أنه تعالى لم يحفظها بألفاظها. فهذا مسلم، وقد بينا أن السنة ليست بحاجة إلى نفس الألفاظ، بل الحاجة إلى معانيها المنضبطة ولو رويت بألفاظ أخرى لا تخل بالمعنى. **أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها قالت لعروة بن الزبير " بلغني أنك تكتب الحديث عني، ثم تعود فتكتبه، فقال لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره. فقالت: هل تسمع في المعنى خلافاً؟ قال :لا، قالت: لا بأس بذلك. فالمعنى إذا كان بنفس اللفظ أو انضبط بألفاظ مشابهة فلا بأس به**[٧٠] **.**

أما إن كان المراد أن الله سبحانه و تعالى لم يحفظ السنة مطلقاً لا بألفاظها ولا بمعانيها، وأنها ضيعت فذلك كذب وافتراء على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الأمة المسلمة، وجحد ونكران لجهود عظيمة مميزة قام بها علماء السنة عبر تاريخ الإسلام.

والحق أن رب العزة تبارك وتعالى تكفل بحفظ كتابه، ومن خلال حفظ كتابه تكفل الله تعالى ضمنياً بحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ذلكم أن الكتاب بحاجة إلى السنة التي تبينه، كما قال عز وجل" **وأنزلنا إليك الذكر لتبيـَّن للناس ما نزل إليهم**

[70]_ رواه الخطيب البغدادي .

ISSN: 2706-6495

ولعلهم يتفكرون "[٧١]. فالسنة ضرورية للكتاب، وهي إلى جانب الكتاب ضروريان للدين. فمن حفظ الله تعالى كتابه أن يحفظ السنة التي تبينه وتفصله، فإن القرآن بحاجة إليهــا ومن حفظ الله تعالى دينه كي يعرفه الخلق الذين كلفهم الله به، ويحاسبهم عليه، أن يحفظ كتابه وسنة نبيه، فإن الدين بحاجة إليهما. لذلك كان من قدر الله سبحانه أن هيأ لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هؤلاء الأعلام الذين بذلوا في حفظ السنة ما لم يعرف له تاريخ العلوم والثقافات مثيلا من قبل ولا من بعد وما كان ليتم لهم ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى وهداية وتأييد. فقد ابتدعوا نظاماً لحفظ السنة، ومعرفة صحيحها بدرجاته، من الضعيف بدرجاته، من الموضوع. واخترعوا من الوسائل المعرفية والمناهج العلمية ما هو معجز في بابه، كل ذلك على غير مثال سابق لا عند العرب، ولا عند غير العرب ممن كانت لهم ثقافات وفلسفات، وكانت لهم أديان، وكانوا الأكثر حاجة إلى تمحيص مكتوباتهم وأسفارهم الدينية، ولكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه علماء الإسلام ولا إلى قريب منه وقد شهدت الأمم جميعها بأن علماء السنة قد أتوا في باب جمعها وتصنيفها، وتمييزها، ومعرفة الصحيح من الضعيف من الموضوع. ما لم تعرفه الأمم من قبل.
والسؤال: هل كان من الممكن أن يتم دون توفيق من الله سبحانه وهداية ومعونة وإرشاد؟ **إنه توفيق الله تعالى لحفظ سنته الذي هو من حفظ كتابه، لحاجة الكتاب إلى السنة في بيانه وتفصيله، وحاجة دين الله الإسلام إلى الكتاب والسنة جميعاً .**
أما زعمهم بأن السنة أضحت خليطاً لا يعرف منها الصحيح من الموضوع ؛ فذلك كذب وافتراء بل تبجح ومكابرة،

فإن أقل الناس ذكاء ومعرفة بالسنة تكفيه زيارة واحدة لإحدى المكتبات الحديثية التي تضم كتب السنة أو بعضها ليدرك بعد تصفح لعناوين هذه المدونات وبعض ما فيها أن الله تعالى حفظ سنة نبيه، وأن كتب الصحاح والسنن موجودة ينهل منها المسلمون الزاد النافع لهم في الدنيا والدين. رغم أنوف هؤلاء الكافرين ، منكري السنة أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المسلمين.

المبحث الثاني

المنهج القرآني في دائرة فهمهم:

منهج القرآنيين في تدبر القرآن منهج عقلي يعتمد على فهم القرآن بالقرآن، ويرفضون كلمة تفسير القرآن حيث يعتقدون أن التفسير يكون للشيء الغامض أو المعقد بينما القرآن ميسر للفهم والتدبر كما هو مذكور في القرآن نفسه. كما يرفض القرآنيون روايات أسباب النزول أو التفسيرات المذكورة في كتب التراث، فهم يرون أن عامة المسلمين يقدسون تفسيرات التراث وروايات أسباب النزول حتى وإن تعارضت مع القرآن فيقدمون كلام البشر المشكوك بصحته وسنده على كلام الله المقطوع بصحته. وحول فهم القرآن بالقرآن فيعمل القرآنيون على فهم مصطلحات القرآن في المواضع المختلفة منه لفهم وتدبر ما تشابه منه.

قال الشيخ الألباني رحمه الله:

[71]_ النحل ٤٤ .

لابد من تفسير القرآن بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ولو كانت ليست متواترة وإنما هي أحآد وهذا هو الطريق الذي يجب علينا أن نسلكه دائماً في تفسيرنا بكتاب الله تبارك وتعالي إيماناً بقوله عز وجل" **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلا"**[٧٢] هذا هو المنهج الذي يجب أن نسلكه في تفسير القرآن ولكن من الملاحظ أن هناك بعض الآيات لا نجد فيها حديثاً يفسر لنا القرآن الكريم فما هو الطريق المكمل للمنهج الأول ؟

الجواب كما هو معرف عند أهل العلم انه يجب إذا لم نجدي السنة ما يفسر القرآن نعود بعد ذلك إلي تفسير سلفنا الصالح وعلي رأسهم أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وفي مقدمتهم عبد الله أبن مسعود رضي الله عنه لقدم صحبته للنبي صلي الله عليه وسلم من جهة , ولعنايته بسؤاله عن القرآن وفهمه وتفسيره من جهة أخري ثم عبد اله ابن عباس رضي الله عنه وعن ابن مسعود فقد قال ابن مسعود فيه انه ترجمان القرآن.

هناك بعض الآيات تفسر بالرأي ولم يأتي في ذلك بيان عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم مباشرة فيستقل بعض المفسرين في تفسيرها تطبيقاً للآية علي المذهب وهذه نقطة خطيرة جداً حيث تفسر الآيات تأييداً للمذهب وعلماء التفسير فسروها علي غير ما فسرها أهل ذلك المذهب.

المبحث الثالث

أدلة حجية السنة

الأدلة على حجية السنة كثيرة وهي الكتاب والسنة والإجماع القطعي، و"السنة" في هذا المقام عند هؤلاء المنكرين مشهود لها وليست شاهدة، ولكن هي عندنا شاهدة

أولاً: من الكتاب العزيز

فقد دل كتاب الله على اعتبار" السنة "حجةً يجب الرجوع إليها، لأنها مبينة للقرآن، ومخصصة لعمومه، ومقيدة لمطلقه، بل وتستقل بأشياء كثيرة ليست في القرآن، وأنها مرجع المسلمين في التحاكم عند النزاع كالقرآن تماماً، وأن من خالفها فهو على خطر عظيم، وأن الرسول قدوة للأمة في أقواله وأفعاله وأخلاقه وعبادته وسلوكه .

١- فمن ذلك قوله تعالى: **"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"**[٧٣] وهذه الآية صريحة في أن القرآن مجمل، فلابد له إذاً من تبيين، والمبين له هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فرسول الله يبين لنا معاني القرآن بأقواله وأفعاله وتقريره، وإذا كانت السنة مبينة للقرآن وكان القرآن محفوظاً لقوله: **"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له الحافظون"** [٧٤] كانت السنة محفوظة كذلك، لأن حفظ السنة من حفظ القران.

٢- وقوله تعالى: **"فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن**

72_ النساء ٥٩ .
73_ النحل ٤٤ .
74_الحجر ٦

تأويلاً" .[٧٥]

روى ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله "عن ميمون بن مهران أنه قال في قوله تعالى: **"فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول"** قال: الرد إلى الله الرد إلى كتاب الله، والرد إلى رسوله إذا كان حياً، فلما قبضه الله فالرد إلى سنته.

٣- **وقوله تعالى: "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه"** [٧٦].

٤- **وقوله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"**[٧٧]

٥- **وقوله تعالى: " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"**[٧٨] قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره" التحرير والتنوير" (٨٧/٢٧): (وهذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل فيندرج فيها جميع أدلة السنة)

وانظر كيف فهم الصحابة دلالة القرآن على السنة، عن عبد الله بن مسعود قال :**(لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هو في كتاب الله فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه"**[٧٩]

٦- وقوله تعالى:" **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"**[٨٠] فأخبرنا الله أن للرسول قضاءً يقضي به، كما أن الله له قضاء يقضي به، ومن الإيمان التسليم لهذين القضائين.

٧- **وقول الله تعالى:" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"**[٨١]

٨- **وقوله تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر" .**[٨٢]

٩- **وقوله تعال:"واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة "**[٨٣]**وقوله تعالى:"ويعلمهم الكتاب والحكمة"**[٨٤]

قال العلامة ابن القيم في كتابه" الروح" : والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم ، وقد قال النبي إني أوتيت الكتاب ومثله معه.

ثانياً: السنة :وعندنا في هذا المقام عدة أدلة نكتفي بذكر بعضها:

الحديث الأول :عن المقدام بن معدي كرب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **: أوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شبعان على**

75 النساء ٥٩.
76 النحل ٦٤.
77 آل عمران ٣٢ .
78 الحشر ٧ .
79 الحديث متفق عليه و اللفظ للبخاري .
80 الأحزاب ٣٦.
81 النور ٣٦ .
82 الأحزاب ٢١.
83 الأحزاب ٣٤.
84 ال عمران ١٦٤.

ISSN: 2706-6495

أريكته يقول : بيننا وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، وإنه ليس كذلك [٨٥]

الحديث الثاني :قوله صلى الله عليه وسلم**"من رغب عن سنتي فليس مني"**[٨٦].

الحديث الثالث :عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه و سلم **قال: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه.**[٨٧]

ثالثاً: الإجماع القطعي للأمة :فقد أجمع المسلمون على أن "السنة" هي الأصل الثاني من أصول التشريع، بل هذا من المعلوم من الدين بالضرورة، وقد نقل الإجماع جماعة من أهل العلم منهم الآجري في "الشريعة"، وابن حزم في "أصول الأحكام"، وشيخ الإسلام، وابن القيم في "الروح" وابن بدران في "المدخل "وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوباتباعها، وقد يكون من سنته ما يظن أنه مخالف لظاهر القرآن وزيادة عليه كالسنة المفسرة لنصاب السرقة، والموجبة لرجم الزاني المحصن فهذه السنة أيضا مما يجب اتباعه عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين إلا من نازع في ذلك من الخوارج المارقين"

الخاتمة

فتلك كانت رحلتنا مع هذه الفئة المارقة عن الإسلام وهم أبعد ما يكون عن الهدي الصحيح ، الذي رسمه الله سبحانه وتعالى وأمر به نبيه الكريم وأمته بالسير عليه ، وقد رأيت أن لا أطيل في البحث نظرا لآن الأمر لا يستحق التأكيد أو الإلحاح على ضعف مذهبهم وفساد أقوالهم ، فالحق بين والباطل بين ، ويكفي ما قدمناه من إشارات عابرة عن تلك الشرذمة من منكري السنة والرد عليهم .

وقد بان لنا من خلال البحث جملة من الحقائق عن هذه الطائفة نوجزها فيما يلي:

أولا: إن السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني في التشريع الإسلامي الذي يستقي منه المؤمن الأحكام الفقهية التي جاءت مفصلة لما جاء إجمالا في الأيات الكريمة.

ثانيا: يخيل للبعض أن هذه الطائفة من مخلافات القرن الماضي، ولكن هذا غير صحيح فهي تضرب بجذور بعيده منذ القرن الثاني الذي شهد ظهور أصحاب المذاهب والعقائد الفاسدة كالشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم.

85_ رواه ابو داود والترمذي .
86_ رواه الشيخان عن انس ورواه مسلم عن ابو هريره.
87_ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه.

ISSN: 2706-6495

ثالثا: هذه الحركة بجميع طوائفها خارجة عن الإسلام، فاسقة عن الملّة، وإن زعمت لنفسها الإسلام، وانتسبت إلى القرآن، وإن انتسابها إلى القرآن باطل، لأنها كفرت بالقرآن في نفس اللحظة التي كفرت فيها بالسنة، فإنه لا تفرقة بين القرآن والسنة، فهما يخرجان من مشكاة واحدة، هي مشكاة الوحي الإلهي المعصوم.

رابعا: إن شبهات هؤلاء " منكري السنة " لا تستند على اساس حقيقي وأن الهدف مما يقولون والغاية التي يسعون لتحقيقها، هو القضاء على الإسلام وتفريق الأمة المسلمة، وأن إنتسابهم إلى القرآن الكريم إنما هو ستار يتخفون وراءه ليّزاولوا تحت أنشطتهم الهدامة وحركاتهم التخريبية.

يجب على كل مسلم الإبتعاد عن تلك الطائفة الضالة، فلا يجب إعطائهم أكبر من حجمهم فإنهم ليس لهم وزن ولا قيمة ولا احترام نستطيع من خلالة الإلتفات إلى سماع آرائهم أو قراءة ما يشاع من مذهبهم.

تلك هي أبرز النتائج التي توصلت إليها ولا أملك في النهاية إلا ان أقول علينا بالتمسك بكتاب الله وسنته فهو عقيدة كل مسلم.

أرجو الثواب من الله العلي القدير فهو حسبنا ونعم الوكيل. وصل اللهم على خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم.

المراجع المساعدة

مزروعة، أ/د محمود. (١٤٢١هـ). شبهات القرآنيون حول السنة النبوية الشريفة.

محمود، عثمان بن معلم. شبهات القرآنيين

عبد الله، أحمد. منكري السنة

حسين إلهي، خادم. القرآنيون وشبهاتهم

منصور، احمد صبحي. التيار القرآني

مزروعة، د/ محمود. حول الإستغناء بالقرآن عن السنة

السباعي، د/ مصطفى. السنة ومكانتها في التشريع

الزهراني، محمد مطر. تدوين السنة

الرازي، والقرطبي، وبن كثير. تفسير القران الكريم

ISSN: 2706-6495

الخطيب، د/ عجاج. السنة قبل التدوين

إبن حزم. الإحكام

منصور، اسماعيل. تبصير الأمة بحقيقة السنة

المهداوي، مصطفى كمال. البيان بالقران

أبو شهبة، محمد بن محمد. الدفاع عن السنة

عبد الله، أحمد. شبهات وشطحات منكري السنة

صبري، مصطفى. القول الفصل

حبيشي، طه الدسوقي. ضلالات منكري السنة

المطعني، د/ عبد العظيم. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة

عماد الشربيني، عماد. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام

الشوكاني، محمد بن علي. إرشاد الفحول

بن أبي بكر، محمد. مختار الصحاح

الفهارس

الملخص ١

المقدمة ٣

أهمية البحث ٣

أهداف البحث ٣

الفصل الأول: السنة ومنزلتها من التشريع ٥

المبحث الأول: تعريف ومفهوم السنة ٥

المبحث الثاني: مكانة السنة في التشريع ٧

المبحث الثالث: أحوال السنة مع القرآن ١٠

الفصل الثاني: منكري السنة تحت دائرة الضوء ١٢

المبحث الأول: تعريف منكري السنة ١٣

المبحث الثاني: نشأة القرآنيون وتطورهم ١٣

ISSN: 2706-6495

المبحث الثالث: مصادر التلقي ١٧

الفصل الثالث: شبهات القرآنيون وأدلة السنة................................ ٢٣

المبحث الأول: شبهات القرآنيين والرد عليها ٢٣

المبحث الثاني: المنهج القرآني في دائرة فهمهم ٣٩

المبحث الثالث: أدلة حجية السنة النبوية الشريفة ٤٠

الخاتمة ٤٢

المراجع المساعدة ٤٣

الفهارس ٤٤